

البوليفونية اللسانية في المدونات النحوية: كتاب شرح قطر الندى وبّل الصدى لابن هشام الأنصاري أنموذجاً

طلال بن خلف الحساني

أستاذ اللغويات المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الباحة، السعودية.

(قدم للنشر في ١٩ / ٥ / ١٤٤٧هـ، وقبل للنشر في ٢٥ / ٦ / ١٤٤٧هـ)

<https://doi.org/10.33948/ARTS-KSU-38-2-7>

الكلمات المفتاحية: البوليفونية، البوليفونية اللسانية، التداولية، ابن هشام الأنصاري.
ملخص البحث: نشأ مصطلح البوليفونية في ظلال فن الموسيقى، مقصوداً به تعدد أصوات الآلات الموسيقية في آن واحد مع تناغم بينها، ثم انتقل المصطلح على يد (ميخائيل باختين) إلى فن الرواية؛ ليشير إلى تعدد أصوات الشخصيات داخل البنية السردية للرواية؛ ثم أسقط الباحثون معطيات البوليفونية على مجال الشعر؛ فظهرت القصيدة البوليفونية، ثم انتقل المصطلح في عام ١٩٨٤م على يد (دوكرو) إلى حقل الدراسات اللسانية؛ فظهر مصطلح (البوليفونية اللسانية) التي تُعنى بالجوانب اللسانية الحوارية، والجوانب اللسانية الحجاجية. ويهدف البحث إلى الإجابة عن بعض التساؤلات، منها: هل تضمنت المدونات النحوية التراثية ممارسات للبوليفونية اللسانية؟ وكيف تجلّى تعدد الأصوات داخل تلك المدونات؟ وهل أسهم ذلك في خدمة تراثنا النحوي؟ وسوف يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ يتيح تحليل التماذج التي ترصد صور البوليفونية بمفهومها اللساني داخل إحدى المدونات النحوية التراثية، مستعيناً بآليات التداولية التي من شأنها رصد صور تعدد الأصوات عبر البعدين الحوارية والحجاجية. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، منها: أنها أبرزت عدداً من الجوانب الجمالية في المدونة النحوية التراثية، كما كشفت أن لأسلافنا القدماء ممارسات يمكن أن تندرج تحت معطيات البوليفونية اللسانية التي نظّر لها الغربيون مؤخراً بشكل علمي دقيق، وكشفت كذلك عن صور متعددة من عناية النحويين بالمتلقي. وقد أوصت الدراسة بنهوض دراسات معاصرة حول تراثنا النحوي عامة وحول المؤلفات التي ترتبط بعبور الاحتجاج النحوي والمسجلات النحوية واستكشاف أبعاد بوليفونية أكثر عمقاً وتنوعاً عند الدمج بين تلك المصادر في دراسات مستقلة.

Linguistic Polyphony in Grammatical Texts: The Book 'Sharh Qatr Al-Nada wa Ball Al-Sada'; by Ibn Hisham Al-Ansari as a Model

Talal Khalaf Al-Hassani

Associate Professor of Linguistics, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Al-Baha University, Saudi Arabia.

(Received: 19/ 5/1447 H, Accepted for publication 25/ 6/1447 H)

<https://doi.org/10.33948/ARTS-KSU-38-2-7>

Keywords: Polyphony, Linguistic Polyphony, Pragmatics, Ibn Hisham Al-Ansari.

Abstract. Polyphony originated in the realm of music, referring to the simultaneous harmonious playing of multiple musical instruments. It was then applied by MIKHAIL BAKHTIN to the art of the novel, referring to the multiplicity of character voices within the narrative structure. Researchers applied polyphonic principles to poetry, giving rise to the polyphonic poem. In 1984, it was introduced into the linguistic studies by DUCROT, resulting in the term "Linguistic Polyphony", which encompassed both dialogic and argumentative aspects of language. The research aimed to discuss the following questions: Did classical grammatical texts incorporate practices of linguistic polyphony? How was polyphony manifested within these texts? Did this contribute to the enrichment of our grammatical heritage? It has adopted the descriptive-analytical approach, analyzing models that observe polyphony, in its linguistic sense, within a classical grammatical text. The Findings highlighted several aesthetic aspects within classical grammatical texts. It also demonstrated that our ancient ancestors practiced polyphony long before Western scholars theorized it, and it revealed several instances of grammarians' consideration for the audience through a pragmatic lens. The Recommendations expanded the scope of linguistic research within our grammatical heritage by incorporating the pragmatic level into the established levels of linguistic analysis.

المقدمة:

تُعَدُّ الملاحظة أولى خطوات البحث العلمي، وفي ضوء مفهوم البوليفونية؛ فقد لاحظ الباحث في أثناء مطالعة كتاب (شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري ت٧٦١هـ) أنه اعتمد بشكل لافت على البعد الحواري داخل بنية المدونة النحويّة، ووجود الحوار يعني تعدد الأصوات؛ تلك الأصوات التي قسمها الباحث ثلاثة أقسام، هي: البوليفونية اللسانية القائمة على ثنائية الأصوات، والبوليفونية اللسانية القائمة على تعدد الأصوات، أي تجاوزها أكثر من طرفين، ثم البوليفونية اللسانية القائمة على البعد الحجاجي؛ ومن ثم فإن اعتماد ابن هشام الأنصاري على تعددية الأصوات داخل بنية مدونته النحويّة يعكس ممارسات أسلافنا القدماء للبوليفونية القائمة على تعدد الأصوات والحوار والنقاش والجدل، دون تنظير لها، وهو ما تحقق مؤخرًا على أيدي الغربيين الذين نظروا للبوليفونية بمفهومها العلمي الدقيق وجعلوها نظرية متكاملة الرؤى والمفاهيم.

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الغايات الآتية:
- الوقوف عند أشكال البوليفونية اللسانية في المدونات النحويّة؛ ومن ثم تأكيد خصوبة تراثنا النحوي وثراء مدوناته.
 - كشف أوجه عناية النحويين العرب القدماء بمستقبلي مدوناتهم النحويّة، وذلك عبر الوقوف عند الآليات المتبعة لزيادة فاعلية عملية التلقي داخل المدونة النحويّة التراثية.
 - إثبات اشتغال تراثنا النحوي على جوانب إبداعية، لم يتم الكشف عنها حتى الآن؛ ومن ثم دخول المدونات النحويّة دائرة الأبعاد الجمالية.
 - إعادة قراءة تراثنا النحوي في ضوء معطيات البوليفونية اللسانية؛ الأمر الذي من شأنه فتح آفاق جديدة أمام الباحثين لاستكشاف جوانب إبداعية جديدة وفقًا لمعطيات لسانية أخرى.

أهمية الدراسة:

- تمثل أهمية الدراسة الحالية في النقاط الآتية:
- أنها تُعَدُّ قراءة جديدة في تراثنا النحوي الرصين، وفقًا لمعطيات البوليفونية اللسانية.
 - أنها تثبت لعلمائنا القدماء حقهم في الممارسات اللسانية التي نظّر لها علماء الغرب مؤخرًا.
 - أنها تؤكد حرص النحاة العرب على تحقيق تماسك بنية مدوناتهم النحويّة من جانب، ومدى عنايتهم بمتلقي مدوناتهم من جانب آخر.
 - أنها تدحض القول بأن المدونات النحويّة لا يمكن أن تتضمن أبعادًا جمالية من شأنها أن تكشف عن أوجه جديدة من وجوه الإبداع في تراثنا النحوي.

تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن بعض التساؤلات، هي: هل تجلّى صدق البوليفونية اللسانية داخل المدونات النحويّة التراثية قبل أن يحدد مفهومها (باختين) ومن جاء بعده؟ وكيف تجلّى تعدد الأصوات داخل المدونات النحويّة التراثية؟ وهل أسهم ذلك في خدمة تراثنا النحوي؟ وهل كان هناك أثر لتعدد الأصوات داخل المدونة النحويّة التراثية في بنيتها من ناحية فاعلية عملية التواصل بين المؤلف والمتلقي؟ وما أثر استخدام تقنية تعدد الأصوات داخل المدونات النحويّة في عملية التلقي؟ وهل يمكن القول بأن ممارسات أسلافنا العرب القدماء عامة—وابن هشام خاصة—لمعطيات البوليفونية جاء عن قصد؛ مما يعد سمة أسلوبية ملازمة لهم في تأليفهم؟ وما الدليل على صحة ذلك؟

مادة الدراسة:

يُعَدُّ كتاب شرح قطر الندى وبلّ الصدى، للعلامة أبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (٧٠٨-٧٦١هـ) مادة للدرس والتحليل، وقد اعتمد الباحث على طبعة مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، وهي طبعة روجعت على عدة نسخ مخطوطة، مع ضبط واستدراك وتعليق نسيم بلعيد، ويبلغ عدد صفحاتها ٦٣٢ صفحة.

منهجية الدراسة:

يُعَدُّ المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج الأمثل لتحقيق غايات الدراسة وأهدافها؛ لأنه يتيح للباحث تحليل الشواهد التطبيقية في ضوء معطيات البوليفونية اللسانية؛ وهو المنهج الذي يكشف عن أنماط تعدد الأصوات داخل المدونة النحوية المدروسة من جانب، كما يكشف عن أوجه عناية المؤلف بالمتلقي من جانب آخر؛ مما يسهم في استكشاف بعض الأوجه الجمالية في المدونة النحوية في ضوء معطيات التداولية.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث عند دراسة تناولت فكرة البوليفونية اللسانية في المدونات النحوية عامة، ولا حول كتاب (شرح قطر الندى وبلّ الصدى) لابن هشام الأنصاري خاصة، لكن ثمة دراسات أخرى حول كتاب شرح قطر الندى وبلّ الصدى من جانب، ودراسات حول ابن هشام الأنصاري ومؤلفات أخرى له من جانب آخر، ومن تلك الدراسات التي رصدها الباحث ما يأتي:

أولاً: دراسات تناولت كتاب شرح قطر الندى:

- ابن هشام واختياراته النحوية في كتاب شرح قطر

الندى وبلّ الصدى، وهي أطروحة ماجستير في جامعة الشهيد حمد لخضر بالوادي، كلية الآداب واللغات، الجزائر، أعدتها الباحثة: إيمان فرحاني، وحليمة بوقرحة، عام ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٧ م.

- شرح قطر الندى وبلّ الصدى (دراسة إحصائية)، وهو عبارة عن ورقة بحثية من عشر صفحات، تناولت فيها الباحثة هيام فهمي إبراهيم، الجوانب الإحصائية المرتبطة بالكتاب، مثل: عدد شراحه، وعدد شواهد، وأنواع الشواهد وأعدادها، وعناوين الدراسات التي نهضت حول الكتاب. والورقة البحثية من منشورات كلية التربية للبنات، الجامعة العراقية.

- شرح قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام الأنصاري "دراسة نقدية منهجية في متعاليات النحو التعليمي" وهو بحث علمي منشور بمجلة اللغة العربية وآدابها (مجلة علمية محكمة)، بجامعة أصفهان، العدد ٢، السنة ١٤، صيف ١٤٣٩ هـ، إعداد: إلهه صفيان، وسيد محمد رضا ابن الرسول، وسمية حسن عليان.

ثانياً: دراسات تناولت ابن هشام الأنصاري، أو مؤلفات أخرى له:

- ابن هشام الأنصاري: مؤلفاته ومنهجه النحوي، وهو بحث علمي محكم، من إعداد الباحث: سامح محمد محمد عمر، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، المجلد ١٣، العدد ١، ٢٠٠٥ م.

- الخلاف والترجيح عند ابن هشام الأنصاري من خلال مؤلفاته النحوية، وهي رسالة دكتوراه، أعدها الباحث: أبو القاسم محمد سليمان محمد، جامعة النيلين، بجمهورية السودان، عام ٢٠١٨ م.

- دور التوهم في التقعيد النحوي عند ابن هشام

المبحث الأول:

مصطلحات الدراسة وقضاياها النظرية: (البوليفونية،

البوليفونية اللسانية، التداولية، ابن هشام الأنصاري).

مصطلح (البوليفونية):

تشير الأدبيات إلى أن هذا المصطلح يتكون من شقين: أولهما: (Poly) بولي، ويعني: تعدد، والثاني: (Phone)، ويعني: صوت؛ وبالتالي فإن مصطلح: (Polyphonic) يقصد به تعدد الصوت، وقد استخدم هذا المصطلح في مجال الموسيقى أولاً؛ وكان يشير إلى تداخل أصوات الآلات فيما بينها، وتناغمها؛ لتنتج في النهاية لحناً متناغماً تطرب له الأذان^١.

كما تشير الأدبيات إلى أن هذا المصطلح أطلقه الإغريق على كل ما كانت لديه القدرة على إصدار أصوات متعددة؛ مما يؤكد أن استخدام المصطلح في ساحة الأدب يُعدُّ من قبيل المجاز؛ فكما تتكاتف عدة مكونات للخروج بالعمل الأدبي في شكل متناغم بينها هيرموني^٢، فاللحن في الموسيقى ينبثق ويتواصل ويتنامى ويندمج بأصوات أخرى تنبع من صلب اللحن الموسيقي، أو من خلال ألحان أخرى، يرى المؤلف أنها تخدم اللحن الذي يقدمه^٣.

(١) ينظر: محمد القاضي، ومحمد الجنو، وأحمد السواوي، ومحمد نجيب العماني، وعلي عبيد، ونور الدين بنخود، وفتحي النصري، ومحمد آيت ميهوب، معجم السرديات (تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م)، ١٠١.

(٢) ينظر: عواطف عبد الكريم، "تعدد التصويت في الموسيقى"، مجلة فصول، مجلد٥، عدد٢، (١٩٨٥م): ١٠٠.

وينظر أيضًا: محمد بوعزة، "البوليفونية الروائية"، مجلة الفكر العربي، مجلد١٧، عدد٨٢، (١٩٩٥م): ٨٦.

(٣) ينظر: أسعد محمد علي، بين الأدب والموسيقى دراسة مقارنة في الفن الروائي (بغداد: العراق، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، ١٩٨٥م)، ١٠٩.

الأنصاري "دراسة تحليلية إحصائية في مغني البيب عن كتب الأعراب"، وهو بحث علمي محكم، منشور بمجلة كلية الآداب بقنا، جمهورية مصر العربية، العدد ٥٦، إصدار يوليو ٢٠٢٢م.

- مسائل وَهَمَّ في تزعمها ابن هشام الأنصاري على النحويين، وهي ورقة بحثية أعدها الباحث: مهدي خزلع مغير، منشور بمجلة كلية العلوم الإسلامية، بتاريخ ٢٠ محرم ١٤٤٠هـ، ٣٠ أيلول ٢٠١٨م.
- تطور الآراء النحويّة عند ابن هشام الأنصاري "دراسة تحليلية نحوية"، نسخة إلكترونية على شبكة الإنترنت: A Jamiy, Jurnal Banasa dam Sastra Arab, Volume, 06, No.1, Juni. 2017

خطة الدراسة:

- تضمنت الدراسة مقدمة ومبحثين، تلاهما خاتمة وثبت بالمصادر والمراجع.
- المقدمة: تضمنت تساؤلات الدراسة، وأهدافها، وأهميتها، ومادتها، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة.
- المبحث الأول: مصطلحات الدراسة وقضاياها النظرية.
- المبحث الثاني: الجانب التطبيقي للدراسة، وتضمن ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: البوليفونية اللسانية القائمة على ثنائية الأصوات.
- المطلب الثاني: البوليفونية اللسانية القائمة على تعدد الأصوات.
- المطلب الثالث: البوليفونية اللسانية القائمة على البعد الحجاجي.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع.

الذي يمثل علاقة الفعل بالفاعل؛ بأن يقوم بالفعل، أو يتلقاه، أو يرويه، أو يشارك فيه، ولو كان سلبيًا^(٨).

وهذا ما أكده باختين بقوله: "الصوت الذي أعنيه ليس صوتًا منفردًا، وإنما هو صوت فاعل يعكس إضاءة أيديولوجية، واستمرار هذا الصوت على امتداد النص هو استمرار لفعل الخطاب، ويلتزمه مع هذا الاستمرار استمرار لتلك الأيديولوجية"^(٩).

وفي ضوء ما تقدم، فإن ما يعنيه باختين بتعدد الأصوات "ليس تعددًا لأصوات جوفاء، كما هو الأمر عند البنيويين والشكلانيين، وإنما هو تعدد لأصوات مشحونة بأيديولوجيات مختلفة...؛ حتى صوت المتكلم الواحد قد يشتمل على أصوات متعددة في الوقت ذاته"^(١٠).

ومن ثم فإن العلاقة بين الأشخاص في التصور البوليفوني ليست مجرد علاقة بين الحاضر والمؤلف فقط، وإنما هي علاقة بين الغائب والمؤلف في الوقت ذاته؛ إذ يتمثله المؤلف، ويستحضره، ويتحاور معه، ويتحداه، ويصغي إليه؛ فهي علاقة اكتشاف متبادلة، علاقة فنية أساسها التساوي والتناظر^(١١).

وقد وجد دارسو الأدب في الرواية حقلًا خصبًا لتعدد الأصوات؛ بوصفها جنسًا أدبيًا يعتمد في المقام الأول على تعدد الأشخاص داخل بنية الرواية؛ حيث تعدد الأصوات داخل الأعمال الروائية بتعدد الأشخاص، ويرجع الفضل إلى ميخائيل باختين في انتقال هذا المصطلح من حقل الموسيقى إلى حقل الدراسات الأدبية والنقدية؛ إذ كانت دراسة (باختين) للملفوظات الروائية عند دوستويفسكي نقطة تحول في الدرس النقدي عامة، وفي نقد الرواية خاصة؛ فقد استعمل هذا المصطلح للمرة الأولى في حقل الدراسات الأدبية والنقدية بوصفه مصطلحًا رديفًا للتعدد الصوتي، أو ما اصطلح عليه بـ (الحوارية)؛ أي أصوات تشتمل على آراء منسوبة إلى الآخرين، غير الذي قال القول^(١٢).

جدير بالذكر أن النقاد والأدباء قد استخدموا وسم (البوليفونية) لكل عمل أدبي يتضمن تعددًا في الشخصيات والأصوات والرؤى والأفكار والأيديولوجيات^(١٣)، ولم يقتصروا على حقل الرواية تحت مسمى الرواية البوليفونية، بل ظهر ما أطلقوا عليه "القصيد البوليفونية في مجال الشعر؛ مما يشير إلى ظهور المصطلح بقوة في عالم الأدب"^(١٤).

مع ملاحظة أن مفهوم الصوت الذي أشار إليه (باختين) ليس الصوت المتعارف عليه بالمعنى الاصطلاحي للكلمة، وإنما يقصد بالصوت هنا: "كل لفظ يدل على حكاية"^(١٥). أو بصيغة أخرى: الصوت بوصفه "وجهًا من وجوه الفعل

(٨) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية عربي إنجليزي فرنسي (بيروت: دار النهار للنشر، ٢٠٠٢م)، ١١٧.

(٩) ميخائيل باختين، الخطاب الروائي ترجمة محمد براءة (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ١٤٣.

وينظر كذلك: منيرة شرقي، "المبدأ الحوارية عند باختين"، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، عدد ٣، سبتمبر (٢٠١٤م)، ٨٦.

(١٠) القاضي وآخرون، معجم السرديات، ١٠٢.

(١١) ينظر: ميخائيل باختين، الملحمة والرواية ترجمة: جمال شحيد، (بيروت: معهد الإناء العربي، ١٩٨٢م)، ١٢.

وينظر: ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، (بيروت: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٨م)، ٣٣.

(١٢) ينظر: القاضي وآخرون، معجم السرديات، ١٠٢.

(١٣) ينظر: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م)، ١٣٦.

(١٤) عبد الرحمن أكيدر، الرواية البوليفونية المقومات النظرية والخصائص الفنية (المغرب: مؤسسة الوراق للطباعة والنشر، ٢٠١٧م)، ٥٩.

(١٥) جبران مسعود، معجم التراث معجم لغوي عصري، طبعة جديدة، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م)، ٧٦٢.

أصوات أخرى له؛ فقد استجابت القصيدة هي الأخرى للنداء نفسه، وتحولت - أعني القصيدة - من قصيدة أحادية الاتجاه في السرد، إلى قصيدة ديمقراطية الأصوات؛ وهو مصطلح يشير إلى أن القصيدة تتضمن أكثر من صوت في وقت واحد، حتى وإن كانت تلك الأصوات على لسان الشاعر نفسه، لكنها في الوقت ذاته لا تعبر عن فكر واحد ولا عن رؤية واحدة، بل يؤدي الشاعر في هذه الحالة دور الراوي داخل البنية السردية فيما يطلق عليه السردية التعبيرية^(١٥).

وتبرهن هذه الاستجابة من الشعر لتلك المتغيرات على غناء الشعر العربي بمعطياته الفنية، وأساليبه المعاصرة، ومنها الأسلوب البوليفوني الذي أمست القصيدة في ظلالة حقلًا لعدة أصوات متجاورة، مع وجود عنصر السردية التعبيرية الذي منح للنص الرمزية والإيحاء^(١٦).

وتأسيسًا على ما تقدم؛ فقد اصطلح على أن القصيدة البوليفونية هي التي تتعدد فيها الشخصيات، ومن ثم تتعدد معها الأصوات، وهي تتسم في الوقت ذاته بالبعد الحوارية، ويتخذ فيها السرد نطاقًا أوسع، يكسو ذلك كله البعد التعبيري الذي يُعدُّ السمة المميزة للشعرية، ويخلق حدودًا فاصلة بين الشعر وغيره من فنون القول الأخرى من الأجناس الأدبية^(١٧).

ويرى الباحث أن تحقيق أبعاد البوليفونية في المدونات النحويّة يتسق مع ما أقره أهل الأدب حول الرغبة في التخلص من مبدأ هيمنة الراوي العالم بكل شيء وحده، وهذا

وفي ضوء ما تقدم، كانت الرواية أنسب الأجناس الأدبية لتعدد الأصوات؛ نظرًا لطبيعة بنائها الفني، من جهة تعددية الأشخاص، واتساعية الزمان والمكان... إلخ.

وتؤكد الدراسات أنه لم يعد بين الأجناس الأدبية المتعددة أي حدود فاصلة أو صارمة، وإنما أمسى الانفتاح بين تلك الأجناس سمة ملحوظة، وهذا ما يفسر توظيف تقنيات السرد الحكائي القائم على السردية التعبيرية داخل بنية كثير من القصائد الشعرية؛ مما أتاح للقصيدة المعاصرة أن تطرق باب البوليفونية بأبعادها التعددية^(١٨)؛ فقد "تجاوزت القصيدة الحديثة المستوى الغنائي البسيط، التي ظلت تحوم في دائرته زمنًا طويلًا، وبلغت معه القصيدة مرحلة من التعقيد والتركيب الذي يتناسب وتعقيد الهموم والمشاعر التي تعبر عنها القصيدة"^(١٩).

فإذا كانت الرواية وظيفيًا تُعدُّ انعكاسًا صادقًا للواقع في ضوء تعددية الأصوات؛ فقد أمسى الشعر المعاصر هو الآخر معنيًا بتلك الوظيفة عبر التقنية ذاتها - أعني تقنية تعدد الأصوات - وكلاهما معًا يمثلان "بنية تحيط بالأصوات الأيديولوجية داخل المجتمع؛ بحيث تجمع القصيدة بين عدة أصوات متكافئة، تتفاعل وتتلاقى وتتواجه وتنمو بنمو الحوار بينها بنية القصيدة"^(٢٠).

فكما استجابت الرواية - وفقًا للتصور البوليفوني - لعدم الاستسلام إلى وحدوية صوت الراوي، وسمحت بمتاخمة

(١٢) ينظر: أنور غني الموسوي، التقنيات السردية في القصيدة العربية مقالات نقدية أسلوبية (العراق: دار أقواس للنشر، ٢٠٢٠م)، ٢٨.

وينظر: أحمد عزي صغير، القصيدة البوليفونية وشعرية تعدد الأصوات قراءة في المدونة الشعرية الكاملة لعبد العزيز المقالح (المغرب: ملتقى الأدباء والمبدعين العرب، ٢٠١٢م)، ص ٣٨.

(١٣) ينظر: علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م)، ٥٦.

(١٤) رضوى عاشور، ملحوظات حول تعدد الأصوات في ثلاثية غرناطة (بيروت: مجلة الطريق، عدد ١، ٢٠٠٢م)، ٩٩.

(١٥) ينظر: فؤاد التكريلي، الرجوع البعيد (بيروت: لبنان، دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، ٢٠١٥م)، ١٣.

(١٦) ينظر: أنور غني الموسوي، القصيدة التقليدية الشعر بين التقليدية والبوليفونية، (العراق: دار أقواس للنشر، ٢٠٢٠م)، ٣٧.

(١٧) ينظر: أنور غني الموسوي، التقنيات السردية في القصيدة العربية مقالات نقدية أسلوبية، ٢٨.

وينظر أيضًا: أنور غني الموسوي، كُتّاب قصيدة النثر، نسخة إلكترونية، (العراق: ٢٠١٦م)، ٩. <http://foulabook.com>

سابقة ولاحقة؛ بوصفها ملفوظات (نصوصاً) لمستخدمين سابقين أو لاحقين؛ وهذا ما دفعه إلى الدعوة إلى علم جديد وسمه بـ(اللسانيات الحوارية)، هادفاً من ورائه إلى تجاوز الدرس اللساني الضيق الذي يدور في فلك منطوق واحد فقط، إلى مجال أكثر سعة ورحابة في الدرس اللساني، حيث النظر إلى النصوص بوصفها شبكة مكونة من سلسلة متبادلة من الملفوظات صادرة عن أكثر من جهة^(٣٠).

وتأسيساً على ما تقدم؛ فقد رفض باختين الأسلوبية التقليدية التي تعتمد على التعبير الفردي؛ فطرح تصوراً لأسلوبية جديدة تفاعلية، أسلوبية تعتمد على إبراز دور الآخر في أثناء عملية التبادل اللفظي، مما يعني أن مآخذ (باختين) على الأسلوبية التقليدية تتمحور حول إغفالها حضور الآخر (المستمع) في أثناء عملية التلطف، وفي الوقت ذاته اقتصار اهتمامها حول ملفوظ المتكلم فحسب، دون أدنى عناية بحضور الآخر (المستمع أو المتلقي)^(٣١).

وبالتالي فإن مفهوم البوليفونية اللسانية يدور في فلك كل ما يجعل من عملية التواصل اللغوي فعالاً، وكل ما يضمن حضور الآخر داخل خطاب الأنا؛ بحيث تكون المدونة حلبة تتواجه فيها كل النغمات المتعارضة، والأصوات التي تعبر عن آراء متنوعة، في بوتقة حوارية يتجلى فيها حضور الآخر داخل خطاب الأنا.

إن السمة المميزة للبوليفونية اللسانية التي دعا إليها باختين تقوم على "مبدأ عام يرتبط إثره كلام المتكلم في علاقة حوارية مع كلام الآخر (سابقاً كان أو لاحقاً) مما يعني أن الحوارية اللسانية تعني لدى باختين كل أشكال حضور كلام

ما أكده التداوليون حين أقروا بأن سيطرة أحادية الراوي العالم بكل شيء، والخابر ببواطن الأمور وحده، لم تعد محتملة في العصر الحديث، وخاصة مع التطور الثقافي العريض للعقل البشري، في حين أصبحت النسبية المتشعبة في النص الأدبي أكثر ملاءمة^(٣٢)؛ ومن ثم كان حرص النحاة عامة، وابن هشام في المدونة المدروسة خاصة، على استحضار المتلقي تارة، واستحضار الآخر إلى جوار المتلقي تارة أخرى، إلى جواره هو بوصفه يدير حواراً متعدد الأطراف بين كل الأطراف في آنٍ واحد.

ومن ثم -في تصور الباحث- توجد منطقة تتقاطع فيها كتابة المدونات النحويّة مع الكتابة الأدبية؛ الأمر الذي يبرهن إمكانية وقوع الإبداع في دائرة المدونات النحويّة؛ فهي كتابة في جوهرها امتداد للمجتمع الذي تكتب فيه، وتكتب عنه معاً؛ لذا تراها عكساً أميناً لكل الآمال والآلام التي تصطرع لدى الناس في ذلك المجتمع^(٣٣). فما أكثر الأبعاد الحوارية في قاعات الدرس النحوي، وما أغزر المخالفات والآراء؛ مما يعني أن تلك المدونات النحويّة أرض خصبة تجلت فيها أنماط متنوعة الأبعاد الحوارية، وأشكال مختلفة من الجوانب الحجاجية.

مصطلح البوليفونية اللسانية:

نشأت فكرة البوليفونية اللسانية لدى (باختين) حينما دعا إلى ضرورة التعامل مع اللسان من خلال حركيته وبعده التواصلية؛ فقد رأى أنه لا يوجد كلام (تعبير) غير مرتبط بعلاقات جوهرية مع تعبيرات أخرى ممتدة عبر استخدامات

(١٨) ينظر: جميل حدادوي، أنواع المقاربات البوليفونية في تحليل الملفوظات والنصوص والخطابات (القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)، ٣.

(١٩) ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد (الكويت: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦م)، ١٣٥.

(٢٠) ينظر: محمد مرزوق، "البوليفونية اللسانية قراءة أسلوبية جديدة في رواية "المخطوطة الشرقية" لواسيني الأعرح"، مجلة آفاق فكرية، الجزائر، عدد ٥، (٢٠١٦م): ٢١٦-٢٣١.

(٢١) المرجع السابق: ١٥٣.

مصطلح التداولية:

كان (تشارلز موريس) أول من صاغ تعريفاً للتداولية عام ١٩٧٩م متأثراً بالفلسفة التحليلية في دراسة اللغة؛ فجعل التداولية ثلاثة فروع، أولها: علم التركيب، ودرس فيها العلاقة الشكلية بين تراكيب الجملة، وثانيها: علم الدلالة، وخصه لدراسة علاقة الرموز بالأشياء التي تشير إليها، وآخرها: البرجماتية اللسانية؛ ودرس فيها علاقة الرموز بمفسميها، أي: علاقة العلامات بمفسميها^(٢٧). ومنذ ذلك الحين ارتبط مفهوم التداولية بدراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهداً في ذلك على مقدرتها الخطابية^(٢٨).

مما سبق يتبين أنّ التداولية تدرس المعنى الذي يقصده المتكلم في سياق معين، وتهتم بكيفية إيصال أكثر مما يقال ضمن مجالاتها الأربع: الإشارات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحوارية، وأفعال الكلام^(٢٩).

ويُعدُّ مفهوم البرجماتية اللسانية هو الأقرب إلى طبيعة وظيفة التداولية التي حددها التداوليون ونظروا لها؛ فالتداولية تهدف لديهم إلى "كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق، بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه"^(٣٠).

ويُعدُّ طه عبد الرحمن من أوائل العلماء العرب الذين وضعوا مقابلاً للتداولية في العربية، وهو (براجماتيقا)،

(٢٧) ينظر: محمود عكاشة، النظرية البرجماتية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ (القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٣م)، ٢٨ وما بعدها.

(٢٨) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، (بيروت: مركز الإنماء القومي، ٢٠١٧م)، ٨.

(٢٩) جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتاي (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م)، ٢٠ وما بعدها.

(٣٠) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية (بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م)، ٢٢.

الآخر داخل خطاب المتكلم^(٣١)؛ وهو ما يعني أن أعمق صور البوليفونية اللسانية هي ما تجاوزت فيه خطاب الذات المتكلمة، مع خطابات الغير المتعددة.

وفي ضوء ما تقدم، كان التهجين في طليعة أشكال التعدد الصوتي في النصوص، ويتحقق -كما أكد باختين- من خلال جملة من الاستدعاءات الواعية القصدية، عبر انتخاب خطابات أو تراكيب معينة^(٣٢)، أو بصيغة أخرى التقاء وعين لسانين مفصولين بحقبة زمنية، وفارق اجتماعي أيديولوجي، أو كليهما معاً، داخل ملفوظ واحد^(٣٣).

ومن أشكال التعدد الصوتي في النصوص أيضاً: تداخل الأجناس التعبيرية داخل ملفوظ واحد، سواء أكانت تلك الأجناس أشعاراً أم أقوالاً أم نصوصاً بلاغية أو دينية^(٣٤). وآخر تلك الأشكال التي حددها باختين للتعدد الصوتي في النصوص (الحوارات الخالصة) فهو يرى أن الاتجاه الحوارية على ألسنة الأشخاص، وهو مستوى لساني يكشف عن جوانب التمايز بين الأصوات، وكلما كانت التنافرات والتناقضات الفردية والاجتماعية أكبر؛ ازدادت الصناعة الحوارية الداخلية قوة^(٣٥).

(٢٢) محمد بوعزة، حوارية الخطاب الروائي من باختين إلى ما بعد باختين (تونس: دار أمل للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م)، ٣٣.

(٢٣) ينظر: نجاهة عرب الشعبة، "حوارية باختين دراسة في المرجعيات والمفردات"، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب، عدد ٣١، سبتمبر، (٢٠١٢م): ٩٠.

(٢٤) ينظر: رضا آنسته، "مرايا البوليفونية في رواية الزمن الموحش على ضوء نظرية باختين السردية"، مجلة الأدب العربي، العام الحادي عشر، العدد الأول، (٢٠١٩م): ٥٩.

(٢٥) ينظر: ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٧م)، ٥٧.

(٢٦) ينظر: محمد نجيب التلاوي، وجهة النظر في روايات الأصوات العربية (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م)، ٥٩. وينظر: محمد بوعزة، حوارية الخطاب الروائي من باختين إلى ما بعد باختين، ٢٨.

ومن العلماء العرب من حدد مفهوم التداولية بأنها "نسق معرفي استدلاحي عام، يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلغظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية"^(٣٦).

والسؤال الآن: هل يمكن رصد التفاعلية بين متلقي المدونات النحوية وبين منشئها رغم تباعد الطرفين، سواء أكانت على المستوى المكاني أم الزماني؟ وتكمن الإجابة عن هذا التساؤل فيما ذكره كل من (فولفجانج هاينه) و (ديتر فيهفيجر)؛ حين أشارا إلى أن "الاتصال عن بُعد لا يلغي التفاعلية، فالشركاء يتفاعلون أيضاً بواسطة النصوص المكتوبة بعضهم من بعض، ويؤثر في بعضهم البعض، غير أنه فقط عن بُعد...، فالمتكلم والمتلقي يختلفان عن بعضهما البعض زمنياً ومكانياً؛ كما أن عمليات إنتاج النص واستقباله لم تعد تجري استناداً إلى التفاعل مباشرة، بل تعاقبياً، بوصفها عمليات مع تباعد تاريخي وغالباً موضوعي...، فالكاتب والمتلقي ينجزان نشاطاتها الاتصالية في سياقات جزئية مختلفة؛ فالسياق الشامل لم يعد يصنع إلا من خلال النص"^(٣٧).

ويرى كل من أحمد عفيفي وعلي أبو المكارم ضرورة مراعاة التفاعل بين المبدع والمتلقي من خلال مراعاة المقام الذي يشغل جزءاً لا بأس به من اهتمام نحو النص^(٣٨).

تبقى ضرورة الإشارة إلى أمر جوهري، وهو هل تصلح المدونات التراثية عامة والنحوية خاصة للمقاربة التداولية؟

(٣٦) مصطفى عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م)، ٨٧.

(٣٧) فولفجانج هاينه، وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة الدكتور: فالح بن شبيب العجمي (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٩م)، ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣٨) أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١م)، ٩.

وهو مصطلح يشير إلى معنيين هما: "الاستعمال، والتفاعل معاً"^(٣٩)، ومن ترجماتها أيضاً "المقامية والوظيفية والسياقية والذرائعية والنفعية"^(٤٠).

ثم توالى بعد ذلك الجهود العربية، ورأى اللغويون العرب أن التداولية تعنى بدراسة اللغة في سياقاتها الواقعية وليس في حدودها المعجمية، أو تراكيبيها النحوية، ومن ثم فهي تدرس الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة^(٤١)، ومعنى ذلك أنها "ليست علماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي، وليست علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها، وأشكالها الظاهرة، لكنها علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"^(٤٢). لكن مع تعددها اتفقت حول مفهوم واحد للتداولية؛ فأسمى المصطلح يشير إلى دراسة اللغة في الاستعمال، أو دراسة اللغة في التواصل في سياق مادي، واجتماعي، ولغوي؛ وصولاً إلى المعنى الكامل في كلام ما^(٤٣).

(٣٩) طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد الكلام (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م)، ٢٨.

(٤٠) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم (الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)، ٦٥.

(٤١) ينظر: بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي (القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ١٨.

(٤٢) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م)، ١٦.

(٤٣) ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (مصر: دار المعرفة الجديدة، ٢٠٠٢م)، ١٤.

أبو محمد^(١١)، ولقبه معاصروه بـ (جمال الدين)^(١٢)، وقد اشتهر بينهم بـ (ابن هشام النحوي)^(١٣)، وهو منسوب إلى الأنصار، وهذا سبب وسمه بـ (الأنصاري)^(١٤).

تشير المصادر^(١٥) إلى أنه من أبرز نحاة القرن الثامن الهجري، ولد في القاهرة في الخامس من شهر ذي القعدة عام ٧٠٨هـ، ١٣٠٩م.

شهد له كبار العلماء والمؤرخون، وأشاد به ابن خلدون^(١٦)، ولقبه تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) بـ (لغوي هذا العصر)^(١٧).

(٤١) جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، (مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤م)، ٢: ٦٨.

(٤٢) ينظر: أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت)، ٦: ١٩١.

(٤٣) ينظر: عصام نور الدين، الفعل في نحو ابن هشام (لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م)، ١١.

(٤٤) ينظر: عمران عبد السلام شعيب، منهج ابن هشام من خلال كتابه المغني (ليبيا: الدار الجماهيرية، ١٩٨٦م)، ١٩.

(٤٥) ينظر: إسمايل محمد أمين باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (اسطنبول: مطبعة وكالة المعارف، ١٩٥١م)، ١: ٤٦٥. وينظر: عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح. محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، (دمشق، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٦م)، ١٩١.

(٤٦) ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، قرأه وأعد معاجمه وفهارسه: إبراهيم شُبوح، وإحسان عباس، الطبعة الأولى، (تونس: دار القيروان للنشر، ٢٠٠٦م). وللمزيد ينظر: حسن موسى الشاعر، تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري (الأردن: عمان، دار البشير، ١٩٩٤م)، ٥.

(٤٧) ينظر: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تح. محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، (القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٤م)، ٦: ٣٣.

الإجابة - في تصور الباحث - نعم، بالتأكيد تصلح، خاصة إذا توافر فيها تلك المعطيات التداولية التي تبرهن التفاعل بين طرفي الخطاب، يؤكد ذلك طه عبد الرحمن بقوله: "التداول متى تعلق بالممارسة التراثية؛ فهو وصف لكل ما كان مظهرًا من مظاهر التفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أنّ المجال في سياق الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقًا زمنيًا للحصول على التفاعل والتواصل"^(١٨).

وتأسيسًا على ما تقدم؛ يمكن تصور المدونة النحوية بوصفها نصًا يخضع لما تخضع له النصوص المتنوعة من تحليل نصّي ومقاربات تداولية، وهذا يتسق مع مفهوم النص الذي حدده ديوجراند حين رأى أنه "تشكيل لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال، ويضاف إلى ذلك صدوره - أي النص - عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة، وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها، فقد يتكون من جمل أو كلمات مفردة، أو أية مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال"^(١٩)، وما سيكشف جوانبه تحليل المدونة النحوية المدروسة في ضوء مبادئ التداولية، ومعطيات البوليفونية.

ابن هشام الأنصاري:

هو الإمام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري الخزرجي الشافعي الحنبلي، كنيته:

(٣٩) طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد الكلام (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م)، ٢٤٤. وللمزيد ينظر: خليفة بوجادي، "التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصادر ومجالاته"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، الجزائر، عدد ١٦، (٢٠١٢م): ٤.

(٤٠) إلهام علي خليل أبو غزالة، مدخل إلى علم لغة النص (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م)، ٩.

في الوقت ذاته، ويستحضره ويتحاور معه، ويتحداه، ويصغي إليه.

ويرصد الباحث تعدد الأصوات في المدونة النحوية وفقاً للمفهوم الذي أقره باختين والتداوليون من بعده، من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول:

البوليفونية اللسانية القائمة على ثنائية الأصوات:

ويقصد الباحث بثنائية الأصوات وجود صوتين معاً في آن واحد داخل السياق في بنية المدونة النحوية، وذلك على النحو المبين في الأمثلة الآتية:

المثال الأول:

يقول ابن هشام: "ولما فرغْتُ من ذكر المبنى على الضم، ذكرتُ المبنى على السكون، ومثلتُ له بـ "من"، و"كم"، تقول: "جاءني من قام، ورأيتُ من قام، ومررت بمن قام"؛ فتجد "من" ملازمةً للسكون في الأحوال الثلاثة، وكذا تقول: "كم مالك، وكم عبداً ملكت، وبكم درهم اشتريت؟...، وهي ساكنة في الأحوال الثلاثة كما ترى" (٥٠).

الصوت الأول: (ابن هشام)

تمثل حضور الصوت الأول في هذا المثال فيما نسبه ابن هشام إلى ذاته من أقوال أو أفعال تتمثل في قوله: (ولما فرغْتُ، ذكرتُ، ومثلتُ)، فحضور ابن هشام تحقق عبر عدة أفعال أبرزها بين يدي المتلقي، وتاء الفاعل في تلك الأفعال الثلاثة مرجعها إلى ابن هشام، وهي أفعال إنجازية وفقاً للمقاربة

(٥٠) الأنصاري، ابن هشام أبو محمد عبد الله بن يوسف. شرح قطر الندى وبل الصدى، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، ضبط واستدراك نسيم بلعيد، الطبعة الأولى، (بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠٢٣م). ٧٥، ٧٤.

تشير المصادر -فيما عدا كشف الظنون- أنه توفي في القاهرة في شهر مولده ذاته، ذي القعدة عام ٧٦١هـ، الموافق عام ١٣٦٠م، في حين أشار صاحب كشف الظنون إلى أن وفاته كانت في عام ٧٦٢هـ (٥٨).

المبحث الثاني:

الجانب التطبيقي للدراسة:

أمست فكرة حضور صوت الآخر داخل المدونة النحوية الآن جلية للغاية، خاصة بعد وضوح مفهوم ذلك الحضور الذي حدد صورته باختين والتداوليون من بعده (٥٩)، حين حددوا عدة آليات تتجاوز من خلالها الأصوات داخل المدونات، ومنها -في تصور الباحث- المدونات النحوية، بوصفها مدونات لم تكتب في الفراغ، ولم يوجهها أصحابها لأنفسهم؛ ومن ثم رأى التداوليون أن حضور أكثر من صوت يحدث من خلال بث آراء الآخرين، واستحضار أقوالهم السابقة، جنباً إلى جنب مع الأقوال والآراء الحالية؛ ومن ثم كان مفهوم الصوت لدى باختين يشير إلى كل لفظ يدل على حكاية، وكل قول يرويه القائل منسوباً إلى غيره، أو كل رأي يتمثله المؤلف، ويعقد من خلاله علاقة بين الغائب والمؤلف

(٤٨) مصطفى حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

(اسطنبول: وكالة المعارف، ١٩٤١م)، ١٤٢.

للمزيد حول تاريخ وفاته ينظر: يوسف عبد الرحمن الضبع، ابن هشام وأثره في النحو العربي (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٨م)، ١٨، وعصام نور الدين، الفعل في نحو ابن هشام، ص ١٢، ومحمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (بيروت: دار المعرفة، د.ت)، ٤٠٠.

(٤٩) ينظر: ميخائيل باختين، الملحمة والرواية، ترجمة: جمال شحيد، ١٢.

وينظر: ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، ٣٣.

والقاضي وآخرون، معجم السرديات، ١٠٢.

جملة نصية ذات وظيفة تداولية مهمة، وهي عناية المؤلف بالمتلقي^(٥١).

التداولية تعكس محورية دور المؤلف داخل بنية المدونة النحويّة.

الصوت الثاني: (المتلقي)

تحقق حضور صوت المتلقي إلى جوار صوت المؤلف من خلال عدة صور، هي:

أ - الخطاب المباشر الموجه من المؤلف إلى المتلقي: وقد تمثل في الأفعال: (تقول، فتجد، وكذا تقول، كما ترى)، فهذه الأفعال كلها موجهة بشكل مباشر إلى المتلقي، بما يبرهن عناية المؤلف به من جانب، وبما يثبت تحقق البنية الحوارية داخل المدونة النحويّة من جانب آخر.

ب - إسناد الأفعال المذكورة إلى المتلقي: حيث أسند فعل القول (تقول) إلى المتلقي، لأن الفاعل المستتر في الأفعال الأربع تقديره (أنت) يعود على المتلقي.

ج - إحالة المتلقي بشكل مباشر: فقد جاء الفعل (تجد) مقروناً بفعل القول (تقول)، وتقدير الكلام: تقول كذا... فتجد كذا...، شرط وجوابه، وكذلك قوله: (تجد مَنْ) جملة إحالية، والإحالة هنا إحالة قبلية ذات مدى قريب؛ فابن هشام يحيل المتلقي إلى (مَنْ) الموصولة في الجمل الثلاث السابقة، كي يدرك المتلقي بنفسه أنها ملازمة للسكون في تلك المواضع التي جاءت على لسانه.

د - إجراء جمل مقول القول على لسان المتلقي، فالجمل الواردة في المثال، قد أجراها ابن هشام على لسان المتلقي وهي: (جاءني من قام، ورأيت من قام، ومررت بمن قام)، وكذلك الجمل: (كَمْ مَالِكٌ، وكَمْ عَبْدًا مَلَكْتُ، وبكم درهم اشتريت)، كلها جمل على لسان المتلقي؛ ومن ثم فالضمائر المتصلة بالأفعال الواردة فيها تعود على المتلقي، وبهذا يتحقق حضور صوت المتلقي عبر إسناد الأفعال إليه.

ولا شك أنّ إجراء القول على لسان المتلقي يجعل منه مشاركاً للمؤلف في بناء المدونة النحويّة، وصوغ أمثلتها وشرحها وبيانها، كما لا تخفى دلالة جملة (كما ترى) التي تُعدّ

المثال الثاني:

يقول ابن هشام عند ذكره لعلامات الاسم: "...وعلامه معنوية وهي الحديث عنه كـ (قام زيدٌ)، فزيد اسم؛ لأنك حدّثت عنه بالقيام، وهذه العلامة أنفع العلامات المذكورة للاسم، وبها استدلّ على اسمية التاء في (ضربتُ)، ألا ترى أنها لا تقبل (أل)، ولا يلحقها التنوين، ولا غيرها من العلامات التي تُذكر للاسم، سوى الحديث عنها فقط؟"^(٥٢).

الصوت الأول: (ابن هشام)

تمثل حضور الصوت الأول في هذا المثال فيما نسبه ابن هشام إلى ذاته من أقوال أو أفعال تتمثل في قوله: "الحديث عنه كـ: قام زيدٌ"، فـ"زيد" اسم، وقوله: "وهذه العلامة أنفع العلامات المذكورة للاسم، وبها استدلّ على اسمية التاء في ضربتُ"، وكأنّها جمل توجيهية يهدف المؤلف من ورائها إلى إفهام المتلقي وتعليمه.

الصوت الثاني: (المتلقي)

تحقق حضور صوت المتلقي إلى جوار صوت المؤلف في صور متعددة، هي:

أ - الخطاب المباشر الموجه من المؤلف إلى المتلقي: وقد تمثل في قوله: (لأنك حدّثت عنه بالقيام). وكان ابن هشام قد أجرى المثال المذكور وهو (قام زيدٌ) على لسان المتلقي، والدليل أنه قد أسند الفعل (حدّث) الوارد بعد المثال إلى الضمير (تاء الفاعل) العائد على المتلقي، يدعم ذلك ضمير الخطاب (الكاف) في قوله (لأنك).

(٥١) لمزيد من الأمثلة حول هذه الصورة ينظر: المصدر السابق، ٥٦،

٥٨، ٦٤، ٧٥، ١٢٦.

(٥٢) المصدر السابق: ٥٨.

وهذا النمط الاستفهامي يعكس سعي المؤلف الدائم إلى إقناع المتلقي بما يطرحه من أقوال، ويرسخ داخله شرحه وتوضيحاته للمسائل النحوية واللغوية المطروحة؛ ومن ثم يخرج الاستفهام من دلالة المباشرة إلى دلالة أخرى قد تتجاوز أهمية الاستفهام ذاته، وهي دلالة الإقناع والتقرير واستمالة المتلقي إلى ما يطرحه من أفكار.

المثال الثالث:

يقول ابن هشام: "ونعني بواجب الاستتار ما لا يمكن قيام الظاهر مقامه، وذلك كالضمير المرفوع بالفعل المضارع المبدوء بالهمزة كـ (أقوم) أو بالنون كـ (نقوم) أو بالتاء كـ (تقوم)، ألا ترى أنك لا تقول: (أقوم زيد)، ولا تقول: (نقوم عمرو)، ونعني بالمستتر جوازاً ما يمكن قيام الظاهر مقامه، وذلك كالضمير المرفوع بفعل الغائب، نحو: زيد يقوم، ألا ترى أنه يجوز لك أن تقول: زيد يقوم غلامه"^(٥١).

الصوت الأول: (ابن هشام)

تمثل صوته فيما صدر عنه من تفسير لما ذكره مجملًا في كتابه (القطر)؛ ومن ثم تردد صوته من خلال أقواله التفسيرية الشارحة المتمثلة في قوله: (ونعني بواجب الاستتار)، وكذلك قوله: (ونعني بالمستتر جوازاً)؛ فصوت المؤلف يتردد صداه من هذه الجمل، يضعها المؤلف بين يدي المتلقي مفسراً وشارحاً، وساعياً إلى تحقيق الغاية التعليمية من مدونته.

الصوت الثاني: (صوت المتلقي)

الاستشهاد بأقوال المتلقي ذاته، من خلال البنية الحوارية القائمة على فعل القول المتضمن ضميراً مستتراً يعود على المتلقي، وهو ما يتمثل في قوله: (أنك لا تقول: أقوم زيد، ولا تقول: نقوم عمرو)، فابن هشام يستشهد بما يمكن أن يقول به المتلقي فيجريه على لسانه، وما لا يمكن أن يقوله، فالضمير

ب - استخدام صيغة الاستفهام التعجبي (ألا ترى) موجهة إلى المتلقي؛ بوصفها إحدى الوسائل التعبيرية الإقناعية؛ رغبة في إقناعه واستمالة إلى صحة ما يصوغه من أقوال، والجدير بالذكر أن صيغة الاستفهام (ألا ترى) غالباً ما يهدف من ورائها المتكلم إلى إقناع المتلقي وإفهامه، وهو ما أشار إليه الزركشي حول صيغة (ألم تر)، إذ يرى أنه أسلوب يخرج فيه الاستفهام عن حقيقته؛ لوقوعه ممن يعلم، ويستغني عن طلب الإفهام عليه^(٥٢).

وفي الوقت ذاته يشكل الاعتماد على الاستفهام الموجه إلى المتلقي ملمحاً جمالياً يعكس فاعلية عملية التواصل؛ إذ إن عملية التواصل اللغوي تعد عملية متعددة الأركان عميقة الأبعاد تكتسب عمقها من مبادئ التزامها التداوليون، منها أن الخطاب الفعّال لديهم هو "حوارٌ متصلٌ بين المبدع والنص والمتلقي، والأخير دائماً في حالة طرح لأسئلة عديدة على النص، والنص بدوره يجيب عن هذه الأسئلة"^(٥٣)؛ ومن هنا يكون الخطاب مثيراً للعديد من التساؤلات التي قد يطرحها المؤلف، أو يتوقع أن يطرحها عليه المتلقي.

و لذا يجب أن تكون لدى المؤلف قدرة على توقع التساؤلات المحتملة التي قد يثيرها الخطاب في نفس المتلقي، وهذه التساؤلات كما يرى فان دايك "افتراضات تخمنها المتكلم بالنظر إلى الحالة الابتدائية للسياق، ومن معرفة المخاطب وميله إلى الاستماع وقدرته على السمع وغير ذلك"^(٥٤).

(٥٣) ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح. د. زكي محمد أبو سريع، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦هـ)، ٢: ١٧١.

(٥٤) صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ج ١/ ١١٠.

(٥٥) فان دايك، النص والسياق، ٢٦٨.

(٥٦) الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، ١٩٢.

يقول ابن هشام: "فأما الذي يخفض دائماً فغير وسوى، تقول: قام القوم غير زيد، وقام القوم سوى زيد، بخفض (زيد) فيها، وتُعَرَّبُ (غير) نفسها بما يستحقه الاسم الواقع بعد (إلا) في ذلك الكلام؛ فتقول: (قام القوم غير زيد) بنصب (غير)، كما تقول: (قام القوم إلا زيداً) بنصب زيد، وتقول: (ما قام القوم غير زيد) و(غير زيد) بالنصب والرفع، كما تقول: ما قام القوم إلا زيداً، وإلا زيداً...، وعلى ذلك فقس" (٥٧).

الصوت الأول: (ابن هشام)

تمثل حضور صوت المؤلف في الجمل التي صاغها لشرح القواعد وتفصيل جوانبها، مثل: (فأما الذي يخفض دائماً فغير وسوى)، وقوله: (وتُعَرَّبُ "غير" نفسها بما يستحقه الاسم الواقع بعد "إلا" في ذلك الكلام)، وكذلك قوله: (بخفض زيد فيها)، وقوله: (بنصب غير)، وقوله: (بنصب زيد)، وقوله: (بالنصب والرفع).

كما تمثل حضوره أيضاً في فعل الأمر التوجيهي (قس) في قوله: (وعلى ذلك فقس)، وهي جملة تمثل -وفقاً للمقاربة التداولية- جملة إحالية قبلية ذات مدى قريب؛ حيث يوجه ابن هشام المتلقي إلى ضرورة التزام القياس على الجمل الواردة قبل الجملة الإحالية.

الصوت الثاني: (المتلقي)

اعتمد ابن هشام على فعل القول المسند إلى المتلقي في كل الجمل الواردة؛ مما يؤكد حرصه على حضور المتلقي داخل البنية الحوارية؛ فقد تكرر فعل القول (تقول) خمس مرات متتالية، جاء فيها مسنداً إلى المتلقي.

كما تمثل حضور المتلقي في إجراء جمل مقول القول على لسان المتلقي، وهي الجمل الآتية: (قام القوم غير زيد)، (قام القوم غير زيد)، (قام القوم إلا زيداً) و(غير زيد)، (ما قام إلا زيداً وإلا زيداً).

المستتر في الفعلين (تقول، ولا تقول) يعود على المتلقي، الأمر الذي يثبت حضوره، بالإضافة إلى توظيف ضمير الخطاب "الكاف" في قوله (أنك)، وقوله: (يجوز لك) (٥٧).

المثال الرابع:

يقول ابن هشام: "واعلم أن آخر (هات) مكسورٌ أبداً، إلا إذا كان لجماعة المذكورين فإنه يُصَمُّ؛ فتقول: هات يا زيد، وهاتي يا هند، وهاتياً يا زيدان، أو يا هندان، وهاتين يا هندات، كل ذلك بكسر التاء، وتقول: هاتوا يا قوم بضمها" (٥٨).

الصوت الأول: (ابن هشام)

وقد سمع صداه من خلال فعل الأمر التوجيهي (اعلم)، المستتر فيه الفاعل وجوباً ومرجعه إلى المتلقي، وهو فعل يعكس دلالة توجيه المتلقي إلى ضرورة الالتزام بكسر آخر الفعل في خطاب غير جمع المذكور، بالإضافة إلى الخطاب المباشر بفعل القول (فتقول) الموجه إلى المتلقي أيضاً.

الصوت الثاني: (صوت المتلقي)

تردد صوت المتلقي عن طريق جمل مقول القول التي تلت الفعل (تقول)، والتي أجراها ابن هشام على لسان المتلقي، وجمل مقول القول هي: (هات يا زيد، وهاتي يا هند، وهاتيا يا زيدان، أو يا هندان، وهاتين يا هندات)، والملاحظ أن ابن هشام قد صاغ فعل القول مقروناً (بالفاء)؛ في إشارة إلى تجاوز الصوتين معاً، وأن المقول نتج عن توجيه والإرشاد في صدارة الجملة.

المثال الخامس:

(٥٧) لمزيد من الأمثلة حول هذه الصورة، ينظر: المصدر السابق، ١٩٣،

٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٢.

(٥٨) المصدر السابق: ص ٨٤.

المثال السادس:

يقول ابن هشام: "ولا يجوز أن تقول: (مضروبٌ عبْدُه) وأنت تريد الماضي، خلافاً للكسائي، ولا أن تقول: (مضروبٌ الزيدان)؛ لعدم الاعتماد، خلافاً للأخفش"^(٦٠)، ويقول في موضع آخر: "ولا يجوز أن تطلقها على شخص غائب؛ لا تقول لمن بينك وبينه عهد في أسد خاص: ما فعل أسامة؟"^(٦١).

الصوت الأول: (ابن هشام)

الملاحظ أنّ المثالين الرابع والخامس السابقين قد تمثل صوت ابن هشام من خلال تعبيرات توجيهية معتمدة على فعل الأمر، أمّا في هذين الموضعين فقد تمثل صوته في تعبيرات توجيهية اعتمد فيها على صيغ النهي أو ما في معناه؛ مما يبرهن القصدية في أسلوب ابن هشام التي يهدف من ورائها إلى استحضار المتلقي بشكل دائم؛ فقوله: (لا يجوز أن تقول)، وقوله: (ولا أن تقول)، وقوله: (ولا يجوز أن تطلقها)، وقوله: (لا تقول لمن بينك وبينه عهد في أسد خاص) كلها أساليب تعبيرية تعكس دلالة النهي الصريح للمتلقي.

الصوت الثاني: (المتلقي)

تمثل حضور المتلقي من خلال إسناد أفعال القول المنهي عن ترديدها على لسان المتلقي؛ لذا فقد اعتمد ابن هشام على حركة ضمائر الخطاب المتنوعة التي تعود على المتلقي، مثل الضمير البارز المنفصل (أنت)، وأسند فعل الإرادة إلى المستتر المقدر بـ (أنت) في الفعل (تريد) والعائد على المتلقي، إلى المتلقي، والمستتر المقدر بـ (أنت) في أفعال القول الواردة في هذين المثالين، بالإضافة إلى (كاف الخطاب) في قوله: (بينك).

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك من الأمثلة ما جمع فيها ابن هشام في الموضع الواحد بين أمر المتلقي ونهيه^(٦٢)؛ وهو ما يؤكد التفات ابن هشام إلى المتلقي، وحضوره بقوة داخل بنية المدونة النحوية.

المثال السابع:

يقول ابن هشام: "وتقول: لا تأكل السمك وتشرب اللبن؛ فتنصب (تشرب)، إن قصدت النهي عن الجمع بينهما، وتجزم إن قصدت النهي عن كل واحد منهما، أي: لا تأكل السمك ولا تشرب اللبن، وترفع إن نهيت عن الأول وأبحت الثاني، أي: لا تأكل السمك ولك شرب اللبن"^(٦٣).

الصوت الأول: (ابن هشام)

يتجلى صوت ابن هشام هنا من خلال البنية الخطابية المعتمدة على فعل القول الموجه إلى المتلقي وقد جاء الفعل (تقول) في بداية الكلام، فهو يجري القول على لسان المتلقي تأكيداً على أنّ سلطة القول ليست للمؤلف فحسب، بل بما يمكن أن يتردد على لسان المتلقي.

الصوت الثاني: (صوت المتلقي)

وقد تمثل -في ضوء معطيات المقاربة التداولية- في قوة الأفعال الإنجازية التي منحها ابن هشام للمتلقي، بوصفه من يدير الحوار؛ فقد منح المتلقي سلطات متعددة باستخدام عدة أفعال تدرج تحت الالتزاميات وتمثل في المواضع الآتية:

قوله: فتنصب (تشرب) إن قصدت النهي عن الجمع بينهما، وقوله: وتجزم إن قصدت النهي عن كل واحد منهما، وقوله: وترفع إن نهيت عن الأول، وقوله: وأبحت الثاني.

فالأفعال (تنصب، وقصدت، وتجزم، وترفع، وأبحت)، كلها أفعال تعكس فاعلية دور المتلقي داخل المدونة النحوية،

(٦٢) المصدر السابق: ٤٩٥، ٥٠٥.

(٦٣) المصدر السابق: ص ٦٤.

(٦٠) المصدر السابق: ٤٩٦.

(٦١) المصدر السابق: ١٩٧.

- قوله: (فإن فتحتَ فلك في الثاني ثلاثة أوجه)، جاء الفعل الشرطي مسندًا إلى المتلقي؛ ومن ثم جاء الجواب مانحًا المتلقي ثلاثة أوجه من القول.

- قوله: وإن رفعت فلك في الثانية وجهان، جاء الفعل الشرطي مسندًا إلى المتلقي؛ ومن ثم جاء الجواب مانحًا المتلقي وجهين فقط من القول.

المطلب الثاني:

البوليفونية اللسانية القائمة على تعدد الأصوات:

تقوم فكرة تعدد الأصوات في هذا المطلب حول تجاوز ثنائية الأصوات القائمة على وجود (المؤلف والمتلقي) فقط، ويقع التعدد حينما يستشهد أو يستحضر أحد هذين الطرفين طرفًا ثالثًا؛ بغية دعم رأيه أو دحض رأي الطرف الآخر؛ ومن ثم -وفقًا للمقاربة التداولية- فإن عملية حضور الطرف الثالث هذه تتم من خلال استدعاء قوله أو رأيه داخل البنية الحوارية، ويمكن رصد ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

المثال الأول:

يقول ابن هشام: "قال الشاعر:

اليَوْمَ أَعْلَمُ مَا يَجِيءُ بِهِ وَمَضَى بِفَضْلِ قَصَائِهِ أَمْسٍ

فأمس في البيت فاعل لِمَضَى، وهو مكسور كما ترى"^(٦٥).

الأصوات الحاضرة في هذا الموضع هي:

الصوت الأول: صوت ابن هشام، وقد تصدر البنية الحوارية في قوله: (قال الشاعر)، كما يتمثل صوته في شرحه بعد الشاهد، وهو قوله: (فأمس في البيت فاعل لِمَضَى).

الصوت الثاني: صوت الشاعر الذي استدعاه ابن هشام، واضعًا إياه بين يدي المتلقي مستشهدًا على خفض نهاية (أمس) في قول الشاعر المذكور.

الصوت الثالث: وإن لم يكن مسموعًا لكن حضوره مشهود من خلال البنية الحوارية مع المتلقي الذي يسوق ابن

وتحوله من مجرد متلقٍ سلبي يتلقى التوجيهات إلى متلقٍ إيجابي له سلطة القول والفعل؛ مما يؤكد إدراك ابن هشام ووعيه بوجود المتلقي، وإيوانه بقدرته على المساهمة في نجاح العملية الاتصالية بين طرفي الخطاب.

المثال الثامن:

يقول ابن هشام: "إذا تكررت (لا) مع النكرة جاز في النكرة الأولى الفتح والرفع، فإن فتحتَ فلك في الثانية ثلاثة أوجه: الفتح، والنصب، والرفع. وإن رفعت فلك في الثانية وجهان: الرفع والفتح، ويمتنع النصب"^(٦٦).

الصوت الأول: (ابن هشام)

يتجلى صوت ابن هشام هنا من خلال البنية الخطابية في قوله الموجه إلى المتلقي: (ولك) فكاف الخطاب مرجعها إلى المتلقي، إنه المتلقي الذي يمنحه المؤلف السلطة المعتمدة على فعل القول الموجه إليه، وقد جاء الفعل (تقول) في بداية الكلام، فهو يجري القول على لسان المتلقي؛ تأكيدًا على أنّ سلطة القول ليست للمؤلف فحسب، بل بما يمكن أن يتردد على لسان المتلقي.

الصوت الثاني: (صوت المتلقي)

تمثل -في ضوء معطيات المقاربة التداولية- في قوة الأفعال الإنجازية التي منحها ابن هشام للمتلقي بوصفه من يدير الحوار؛ فقد منح المتلقي سلطات متعددة باستخدام عدة أفعال تدرج تحت الالتزاميات وتمثل في المواضع الآتية:

- قوله: (فإن فتحتَ فلك)، وقوله: (وإن رفعتَ فلك)، وقوله: (ولك في نحو: (لا حول ولا قوة) فتحُ الأول، وفي الثاني: (الفتحُ). فقوله: (ولك)، خطاب مباشر يمنح المتلقي وجهين من القول.

(٦٤) المصدر السابق: ٣٠٥. ولزيد من الأمثلة ينظر: ٣٣٨، ٣٣٩،

كما تحقق حضوره أيضًا من خلال الجمل التوجيهية للمتلقّي مثل: (فلو حدثك شخصٌ بحديث)، وقوله: (رفعت؛ لأن المراد به الحال)، وقوله: (كل ذلك بالرفع).

الصوت الثاني: صوت الطرف الثالث الذي يستدعيه ابن هشام ليردد أقواله على مسامع المتلقّي، والذي جاءت جملة مقول القول (أحبك) على لسانه، بعد فعل القول المبني للمجهول (يقال)، كما تحقق أيضًا من خلال الإشارة إليه صراحة بلفظ (شخص)، دون ذكر قوله، والاكتفاء بما يعبر عن المقول على لسانه وهو لفظ (حديث) في قوله: (فلو حدثك شخصٌ بحديث).

الصوت الثالث: صوت المتلقّي، وهو الذي يتجلى من خلال البنية الحوارية المباشرة القائمة على جمل مقول القول التي أجراها ابن هشام على لسانه والمتمثلة في الجمل الآتية: (إذًا أظنك صادقًا)، (زيدٌ إذن)، (إذن تصدق)، (أكرمك).

المثال الثالث:

يقول ابن هشام: "المفعول به وهو ما وقع عليه فعل الفاعل، كـ (ضربت زيدًا). هذا الحد لابن الحاجب -رحمه الله- وقد استشكل بقولك: (ما ضربت زيدًا)، و(لا تضرب زيدًا)، وأجاب بأن المراد بالوقوع إنما هو تعلقه بما لا يُعقل إلا به، ألا ترى أنّ (زيدًا) في المثالين متعلق بضرب، وأن (ضرب) يتوقف فهمه عليه أو على ما قام مقامه من المتعلقات؟"^(٦٧)

الصوت الأول: صوت (ابن الحاجب)، الذي استدعى قوله ابن هشام ليضعه بين يدي المتلقّي في تعريف المفعول به، فجملة (المفعول به وهو ما وقع عليه فعل الفاعل كـ (ضربت زيدًا)) وضح ابن هشام أنها منسوبة إلى ابن الحاجب، واعتمد في نسبة التعريف إليه على الجملة الإحالية المتصدرة باسم الإشارة (هذا)، وهي إحالة قبلية ذات مدى قريب وظيفتها توجيه المتلقّي.

هشام الشاهد بين يديه، ساعيًا نحو إقناعه وإفهامه، وهو ما يمثله قوله: (وهو مكسور كما ترى)، فالفاعل المستتر في الفعل (ترى) يعود على المتلقّي؛ ومن ثم تجاور في الموضوع السابق أطراف ثلاثة: المؤلف والمتلقّي والشاعر الذي تردد صدى صوته من خلال بيت الشعر المنسوب إليه.

ولا تخفى دلالة الإحالة في قوله (كما ترى) بعد جملة: (أمس في البيت)؛ إذ تعد إحالة قبلية ذات مدى قريب؛ فقد أحال ابن هشام المتلقّي بواسطتها إلى قول الشاعر مرة أخرى؛ ليتحقق من صحة إعراب كلمة (أمس).

المثال الثاني:

يقول ابن هشام: "يقال: (أحبك)؛ فتقول: (إذًا أظنك صادقًا)،... فلو قلت: (زيدٌ إذن)، قلت: (أكرمهُ) بالرفع،... فلو حدثك شخصٌ بحديث فقلت: (إذن تصدق) رفعت؛ لأن المراد به الحال،... ولو قلت: (إذن يا زيد) قلت: (أكرمك) بالرفع، وكذا إذا قلت: (إذن في الدار أكرمك)... كل ذلك بالرفع"^(٦٨).

في هذا المثال نحن بصدد حالة حوارية متعددة الأصوات، وذلك على النحو الآتي:

الصوت الأول: صوت ابن هشام الذي يدير هذه البنية الحوارية بين المتلقّي والطرف الثالث الذي نسب إليه ابن هشام بعض الأقوال وأجراها على لسانه، وقد أدار ابن هشام الحوار هنا معتمدًا في بناء الحوار على فعل القول المنسوب تارة إلى الطرف الثالث الذي جاءت أقواله بعد الفعل المبني للمجهول (يقال)، وتارة يتحقق حضوره عبر الخطاب المباشر للمتلقّي معتمدًا على فعل القول العائد على المتلقّي، والمتمثل في الفعل (قلت).

(٦٧) المصدر السابق: ٣٦٨.

(٦٨) المصدر السابق: ١٤٠. وينظر: ١٤٣، ١٥٣.

المثال الرابع:

يقول ابن هشام: "بخلاف (أَفْضَل) فإن مانعه من الصرف الصفة ووزن الفعل، وهما موجودان فيه أضفته أم لم تُضَفْهُ، وكذلك تمثيلي بـ(الأفضل) أولى من تمثيل بعضهم بقوله:

رَأَيْتَ الْوَلِيدَ بِنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلَهُ
...، فعلى هذا ليس فيه إلا وزنُ الفعل خاصة، ويحتمل أن يكون باقياً على علميته، و(أل) زائدة فيه^(٦٨).

الصوت الأول والثاني: صوت ابن هشام وصوت

الشاعر:

وقد شغل صوت ابن هشام المساحة الأكبر من البنية الحوارية؛ بوصفه من يدير الحوار من جانب، وكونه هو الذي يسعى نحو إقناع المتلقي بما يطرحه من آراء وأقوال من جانب آخر، وهذا ما يفسر استدعاء قول الشاعر المذكور أعلاه، فاستدعاء قول الشاعر كان بغية إقناع المتلقي بقوة الرأي وصحته، خاصة أنه قد وسم تمثيله بأنه أولى، وقد تمثل حضور صوت ابن هشام من خلال العبارات التوجيهية الشارحة الموجهة إلى المتلقي مثل: (بخلاف أَفْضَل، فإن مانعه من الصرف الصفة ووزن الفعل، وهما موجودان فيه)، وقوله (وكذلك تمثيلي بالأفضل أولى من تمثيل بعضهم)، وقوله كذلك: (لأنه يحتمل أن يكون قَدَرَ في (يزيد) الشِّيَاعَ فصار نكرة، ثم أدخل عليه (أل) للتعريف).

الصوت الثالث: صوت المتلقي، وهو - في تصور الباحث

في ضوء المقاربة التداولية- شريك للمؤلف في البنية الحوارية الممتدة، وقد تمثل حضوره هنا في قوله: (أضفته أم لم تُضَفْهُ)؛ وهنا نلاحظ أن ابن هشام قد منح المتلقي حرية الإضافة أو تركها؛ فالفعالان (أضفته)، (لم تضفه)، مستندان إلى المتلقي عبر تاء الفاعل في الأول، وعبر ضمير المخاطب العائد على المتلقي في الثاني.

الصوت الثاني والثالث: صوت ابن هشام يليه صوت

المتلقي بالترتيب، وقد نسج ابن هشام ببراعة بنية حوارية ثلاثية الأطراف بين الأصوات الثلاثة معاً في آنٍ واحد، حيث جعل استشكال الحد الذي ذكره ابن الحاجب ناتجاً عن قول المتلقي: (ما ضربت زيداً)، و(لا تضرب زيداً)، وكأنه جعل القول السابق مستشكلاً نتيجة قول المتلقي اللاحق، والدليل قوله: (وقد استشكل بقولك).

البعد الجمالي هنا أنه جعل إجابة ابن الحاجب السابق ناتجة عن قول المتلقي اللاحق، وهو ما يتضح في قوله: (وأجاب بأن المراد بالوقوع إنما هو تعلقه بما لا يعقل إلا به)، وكأن إجابة ابن الحاجب نتجت عن استفسار المتلقي عن معنى الوقوع. وهذا الملمح يؤكد دخول المدونات النحوية في دائرة الإبداع؛ وفقاً لمعطيات لسانية في ضوء مقاربات تداولية.

ثمة ملمح جمالي وتداولي آخر، قد جرى على لسان ابن هشام في قوله: (ألا ترى أن زيداً) في المثالين متعلق بضرب، وأن (ضرب) يتوقف فهمه عليه، أو على ما قام مقامه من المتعلقات؟) فاستخدام صيغة الاستفهام التعجبي (ألا ترى) العائدة على المتلقي يهدف ابن هشام من ورائها إلى إقناع المتلقي معتمداً في ذلك على الخطاب الاستفهامي المباشر.

كما يرصد الباحث ملمحاً جمالياً عميقاً في هذا المثال، وهو أن كلمة (زيداً) في قوله: (ألا ترى أن زيداً) في المثالين تعرب في السياق الذي جاء على لسان ابن هشام اسماً لـ(إن) منصوباً، في حين تعرب في المثالين الواردين على لسان المتلقي بعد فعل القول: مفعولاً به للفعل "ضريت"، ويُعدُّ هذا الملمح التركيبي نوعاً من أنواع التداخل التركيبي البديع الذي يعكس التناغم والتناسق بين ما يجري على ألسنة أطراف الحوار داخل البنية الحوارية؛ ومن ثم كان حرص ابن هشام على حفاظ الكلمة على بنيتها التركيبية، مع تغير موقعها في التركيبين.

المثال الخامس:

يقول ابن هشام: "إِنَّ وَأَنَّ معناهما التوكيد، تقول: زيدٌ قائمٌ، ثم تُدْخِلُ (إِنَّ) لتأكيد الخبر وتقريره، فتقول: إِنَّ زَيْدًا قائمٌ، وكذلك (أَنَّ)، إِلَّا أنَّها لا بد أن يسبقها كلام كقولك: بلغني أو أعجبنى ونحو ذلك، و(لكنَّ)، ومعناها الاستدراك، وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه، يقال: زيدٌ عالمٌ، فيوهم ذلك أنه صالح؛ فتقول: لكنه فاسق، وتقول: ما زيدٌ شجاع، فيوهم ذلك أنه ليس بكريم؛ فتقول: لكنه كريم، و(كأنَّ) للتشبيه، كقولك: كأنَّ زيدًا أسدًا، أو الظن، كقولك: كأنَّ زيدًا كاتبٌ" (٢٧٧).

الصوت الأول: صوت ابن هشام:

تجسد صوت ابن هشام بشكل مباشر في العبارات التوجيهية والعبارات الشارحة التي يرمي من خلالها إلى إقناع المتلقي وإفهامه بالإضافة إلى الجمل الخطابية الموجهة إلى المتلقي بشكل مباشر على لسان ابن هشام، فالعبارات التوجيهية مثل: (إِنَّ وَأَنَّ معناهما التوكيد)، والعبارات الشارحة مثل: (ومعناها الاستدراك، وهو تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه)، والجمل الخطابية الموجهة إلى المتلقي مباشرة مثل: (تقول، ثم تُدْخِلُ، فتقول، كقولك، وتقول) فالخطاب هنا على لسان ابن هشام، وهو موجه إلى المتلقي فالضائر في هذه الأفعال تقديرها (أنت) تعود على المتلقي، وكذلك كاف الخطاب في (قولك).

الصوت الثاني: صوت المتلقي:

فقد استحضر ابن هشام صوت المتلقي حينما أجرى على لسانه جمل مقول القول الواردة في المثال السابق، وهي: (زيدٌ قائمٌ، إِنَّ زَيْدًا قائمٌ، بلغني أو أعجبنى، لكنه فاسق، ما زيدٌ شجاع لكنه كريم، كأنَّ زيدًا أسدًا، كأنَّ زيدًا كاتبٌ).

الصوت الثالث: صوت الآخر:

ولم يصرح ابن هشام بصفته، لكنه أسند إليه أفوآلاً نتج عنها ردودٌ صدرت عن المتلقي، ويتمثل ذلك في قوله: (يقال: زيدٌ عالمٌ، فيوهم ذلك أنه صالح؛ فتقول: لكنه فاسق)، هذا السياق يكشف طرفاً ثالثاً حاضرًا بجملته مقول القول التالية للفعل المبني للمجهول، والتي نتج عنها أيضًا التوهم الذي يحاول ابن هشام دفعه عن المتلقي.

الملحح البديع هنا أن ابن هشام قد أورد الصورة المناقضة لهذه الصورة السابقة التي تبرهن تعدد الأصوات؛ فقوله: (وتقول: ما زيدٌ شجاع، فيوهم ذلك أنه ليس بكريم؛ فتقول: لكنه كريم) جرى القول على لسان المتلقي، وهو (ما زيد شجاع)، فوقع التوهم لدى الطرف الثالث، وهو في قوله: (فيوهم ذلك أنه ليس بكريم)؛ ومن ثم حاول ابن هشام دفع هذا التوهم أيضًا فأردف الجملتين بجملته (لكنه كريم).

المثال السادس:

قال ابن هشام: "و(ليت) للتمني، وهو طلب ما لا طمع فيه، كقول الشيخ: ... ليت الشباب يعود يومًا، أو ما فيه عسر، كقول المعدم الأيس: ليت لي قطارًا من الذهب، و(لعل) للترجي، وهو طلب المحبوب المستقرّب حصوله، كقولك: لعل الله يرحمني، أو للإشفاق، وهو: توقع المكروه، كقولك: لعل زيدًا هالك، وللتعليل، كقوله تعالى: (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر)، سورة طه، آية ٤٤، أي: لكي يتذكر، نص على ذلك الأخصف" (٢٧٨).

يتجلى في هذا المثال تعدد الأصوات بشكل لافت؛ فقد لجأ ابن هشام إلى استدعاء أصوات متعددة داخل بنية مدونته على النحو الآتي:

الصوت الأول: صوت ابن هشام، بوصفه من يدير

الحوار مع المتلقي؛ ومن ثم فهو الذي يستدعي أصواتًا

اعتمد ابن هشام في هذا المثال على فاعلية الشاهد القرآني ذاته، وجاءت تعددية الأصوات هنا في ضوء تأويلات أقوال المفسرين، وآرائهم المتنوعة والمتعددة؛ فقد تردد صوت تلك الأصوات على النحو الآتي:

الصوت الأول: صوت ابن هشام: ويتمثل في قوله: (من أحكام المنادى الترخيم، وهو حذف آخره تخفيفاً، وهي تسمية قديمة).

الصوت الثاني: تمثل في القراءة الواردة على لسان ابن مسعود لقول الله تعالى: (ونادوا يا مال)، على الترخيم.

الصوت الثالث: صوت ابن عباس: وتمثل في اعتراضه على قراءة ابن مسعود على الترخيم، وحجته أن مقام أهل النار لا يستقيم الأمر معه على تأويل الترخيم (مال)، والمراد (مالك)، وهو ما يتمثل في قوله: (ما كان أشغل أهل النار عن الترخيم!)

الصوت الرابع: من أشار إليهم بقوله: "وعن بعضهم"، وقد نسب هذا القول^(٧٤) إلى ابن جني وابن الشجري، ويتمثل صوتهم في قولهم: (أنّ فيه الإشارة إلى أنهم يقتطعون بعض الاسم؛ لضعفهم عن إتمامه)، البديع هنا أن استبعاد الترخيم جاء منبثقاً عن سياق الحال؛ إذ لا يخفى أنّ حال أهل النار من أثر العذاب هو الوهن والضعف؛ الأمر الذي لا يقوون معه على استكمال الاسم من ضعف حالهم، وليس ترخيماً.

المطلب الثالث:

البوليفونية اللسانية القائمة على البعد الحجاجي:

تجدر الإشارة هنا إلى أمرين، الأمر الأول: أنّ ابن هشام قد اعتمد بشكل ملحوظ داخل مدونته على البنية الحوارية بينه وبين المتلقي، ولكنه هذه المرة قد استمد من معطيات

أخرى، مع نسبة كل صوت إلى صاحبه، وتمثل صوت ابن هشام في قوله: (ليت للتمني، وهو طلب مالا طمع فيه، وقوله: ولعل للترجي، وهو طلب المحبوب المستقرّب حصوله).

الصوت الثاني: صوت الشيخ: ويقصد به الشاعر أبا العتاهية، وتمثل صوته في البيت الشعري المنسوب إليه، وهو المنتهي بقوله: ألا ليت الشباب يعود يوماً.

الصوت الثالث: صوت المعسر وهو المعدم الآيس: وقد استدعى ابن هشام هذا الصوت تحديداً؛ ليوظف معنى (ليت) في الدلالة على معنى التمني، والمتمثل في قوله: (ليت لي قنطاراً من الذهب).

الصوت الرابع: صوت المتلقي ذاته، وتمثل صوته هنا فيما أجراه ابن هشام على لسانه؛ ليصبح مشاركاً له وللأصوات المستدعاة داخل تلك الحالة الحوارية المتعددة الأطراف، وهو ما يتمثل في قوله: (لعل الله يرحمني، ولعل زيدا هالك).

الصوت الخامس: صوت الأخفش، وقد تردد صداه في تفسيره لقوله تعالى: (لعله يتذكر)، بقوله: (أي لكي يتذكر)^(٧٥).

المثال السابع:

قال ابن هشام: "من أحكام المنادى الترخيم، وهو حذف آخره تخفيفاً، وهي تسمية قديمة، وروي أنه قيل لابن عباس: إن ابن مسعود قرأ: (ونادوا يا مال)^(٧٦)، الزخرف، آية ٧٧؛ فقال: ما كان أشغل أهل النار عن الترخيم! ذكره الزمخشري وغيره، وعن بعضهم: أن الذي حسّن الترخيم هنا أنّ فيه الإشارة إلى أنهم يقتطعون بعض الاسم؛ لضعفهم عن إتمامه"^(٧٧).

(٧٤) ينظر: ابن جني أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢/٢٥٧، وابن الشجري هبة الله علي بن محمد، أمالي ابن الشجري: ٢/٣٠٤.

(٧١) الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن: ٢/٤٠٧.

(٧٢) عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات: ٨/٤٠١.

(٧٣) المصدر السابق: ٣٨٥، ٣٨٦.

صدر ابن هشام الفقرة بتنبية المتلقي وتذكيره بما يجب الالتفات إليه، وذلك اعتماداً على قوله: (نبهت على)، وقوله: (بتقديمي)، ووفقاً لأسس التداولية، فإن المؤلف عليه أن يكون في حالة توقع دائم لرد فعل المتلقي لما يطرحه من أقوال وآراء وأحكام؛ ومن ثم فقد توقع ابن هشام أن ما نبه إليه سيثير المتلقي ويعترض عليه؛ فتمثل صوته وهو يردد رأياً مغايراً، أو سؤالاً متوقعاً؛ ومن ثم فعليه مقارعة الحجج بالحجة والبرهان بالبرهان فتجاوز الصوتان معاً على النحو الآتي:

الصوت الأول والصوت الثاني معاً (في حالة حوارية

حجاجية):

صوت المتلقي: يتحقق في جملة مقول القول التي أجزاها ابن هشام على لسان المتلقي، بعد فعل الشرط القولي في التركيب الآتي: (فإن قلت): هذا مُتَّقَضٌ بداخلٍ ويَدْخُلُ؛ فإن الضمة لا تقابل الكسرة.

صوت ابن هشام: يتردد صداه في جملة مقول القول التي أجزاها على لسانه هو نفسه، وذلك بعد فعل الشرط القولي في التركيب الآتي: قلت: المعتبر في المجازة تقابل حركة بحركة لا حركة بعينها.

ويستمر ابن هشام في نسج خيوط تلك الحالة الحوارية الحجاجية في الموضع ذاته على النحو الآتي:

صوت المتلقي: يتحقق في جملة مقول القول التي أجزاها ابن هشام على لسان المتلقي، بعد فعل الشرط القولي في التركيب الآتي: فإن قلت: كيف تصنع بقائم ويقوم؛ فإن ثاني قائم ساكن، وثاني يقوم متحرك؟

وهنا نلاحظ بعداً تداولياً بديعاً، وهو أن ابن هشام قد أجرى على لسان المتلقي سؤالاً متوقعاً قد يساوره؛ ومن ثم كان عليه الإجابة عن هذا السؤال المتوقع لتستمر الحالة الحجاجية.

الحجاج نهجاً لتلك الحالة الحوارية؛ فجاءت البنية الحوارية هنا معتمدة على التركيب الشرطي المكون من أداة الشرط، يتلوها فعل القول الشرطي المسند إلى المتلقي بشكل مباشر، يليه جواب الشرط أيضاً، وهو فعل قولي مسند إلى ابن هشام نفسه، والعكس، ويكون ذلك عبر حالة حوارية يتوازي فيها حضور الطرفين معاً.

الأمر الثاني: أن هذه الحالة الحوارية الحجاجية التي مثلت ملمحاً أسلوبياً بارزاً في المدونة المدروسة، كان قوامها التوقع، وأعني بالتوقع -في ضوء معطيات المقاربة التداولية- مدى قدرة المتكلم على توقع ردود أفعال المتلقي، ومدى استجابته لما يطرحه من آراء وأقوال؛ فالأمثلة الآتية تبرهن زيادة أسلافنا في ممارسة التداولية قبل تنظير الغرب لها، وهو ما يمكن أن نتلمسه من خلال رصد البعد التداولي الحجاجي داخل كتاب شرح قطر الندى وبل الصدى من خلال الأمثلة التالية:

المثال الأول:

يقول ابن هشام: "ونبهت على أن عدم المجازة هو الغالب بتقديمي مثال ما لا يُجاري، وهذا بخلاف اسم الفاعل؛ فإنه لا يكون إلا مجازياً للمضارع؛ كـ "ضارب"؛ فإنه مجاز لـ "يضرب". فإن قلت: هذا مُتَّقَضٌ بـ "داخلٍ ويَدْخُلُ"، فإن الضمة لا تقابل الكسرة.

قلت: المعتبر في المجازة تقابل حركة بحركة، لا حركة بعينها.

فإن قلت: كيف تصنع بـ "قائم ويقوم"؛ فإن ثاني قائم ساكن، وثاني يقوم متحرك؟

قلت: الحركة في ثاني "يقوم" منقولة من ثالثه، والأصل: يَقُومُ كـ (يدخل)؛ فَنُقِلَتْ الضمة لعلّة تصريفية^(٧٥).

الصوت الأول: صوت ابن هشام:

استدعى البعد الحجاجي أن يستحضر المتلقي رأياً أو قولاً يقارع به ابن هشام؛ ومن ثم جاء صوته من خلال السؤال الموجه إلى ابن هشام، مقرونًا بحجة ودليل على لسان طرف ثالث، وهو ما تحقق في قوله: فلم لا اشترطت في الكلمة الوضع، كما اشترط من قال: الكلمة لفظ وُضع معني مفرد؟

المثال الثالث:

يقول ابن هشام: "فإن قلت: فما تصنع بقراءة الحسن البصري (تستكثر) بالجزم؟ قلت: يحتفل ثلاثة أوجه"^{٥٦}. يبرهن هذا المثال قصدية ابن هشام في الاعتدال على تعدد الأصوات داخل البنية الحوارية الحجاجية؛ فقد تجاوز هنا أيضًا ثنائية الأصوات بينه وبين المتلقي؛ حين توقع أن المتلقي قد استدعي قولاً أو رأياً لطرف ثالث يقارعه به الحجة، وذلك عندما توقع ابن هشام استحضر المتلقي قراءة الحسن البصري داخل بنية الحوار الحجاجي، على النحو الآتي:

الصوت الأول: صوت ابن هشام:

تمثل في البنية الخطابية المعتمدة على فعل القول الموجه إلى المتلقي: (فإن قلت)، كما يتمثل في جملة مقول القول التي تلت فعل القول المنسوب إليه (قلت)، بالإضافة إلى الشرح الذي ذكره داخل هذا الموضوع، (قلت: يحتفل ثلاثة أوجه).

الصوت الثاني: صوت المتلقي:

تمثل في جملة مقول القول التي جاءت في صيغة استفهام متوقع من المتلقي يوجهه إلى المتكلم (ابن هشام)، في قوله: (فما تصنع بقراءة الحسن البصري "تستكثر" بالجزم؟). نلاحظ هنا استمرار البعد الحجاجي الذي دفع المتلقي أن استدعي قراءة الحسن البصري؛ لأنها جاءت بجزم الفعل خلافاً لما ذكره ابن هشام؛ ومن ثم كان عليه الرد.

صوت ابن هشام: يتردد صدى صوته في جملة مقول القول التي يجيب فيها عن التساؤل المطروح، وذلك بعد فعل الشرط القولي في التركيب الآتي: قلت: الحركة في ثاني يقوم منقولة من ثالته والأصل: يَقُومُ كـ(يَدْخُلُ)؛ فُتَقِلْتُ الضمة لعلة تصريفية.

المثال الثاني:

يقول ابن هشام: "فإن قلت: فلم لا اشترطت في الكلمة الوضع، كما اشترط من قال: الكلمة لفظ وُضع لمعنى مفرد؟ قلت: إنما احتاجوا إلى ذلك لأخذهم اللفظ جنسًا للكلمة، واللفظ ينقسم إلى موضوع، ومهمل؛ فاحتاجوا إلى الاحتراز عن المهمل بذكر الوضع، ولما أخذت القول جنسًا للكلمة - وهو خاص بالموضوع - أغناني ذلك عن اشتراط الوضع"^{٥٧}. يتميز هذا المثال بتعدد الأصوات وتجاوز ثنائية الأصوات بين ابن هشام والمتلقي فقط؛ نظرًا لأنه قد استدعي قولاً أو رأياً من طرف ثالث داخل بنية الحوار الحجاجي؛ فتجاوزت الأصوات الثلاثة معتمدة على بنية حوارية حجاجية يستشهد فيها أحد طرفي الحجاج برأي آخر، وذلك على النحو الآتي:

الصوت الأول: صوت ابن هشام:

تمثل فيما عرض له سابقاً في السياق، ونتج عنه توقع هذه الحالة الحجاجية مع المتلقي، بالإضافة إلى رده المتمثل في جملة مقول القول التالية لفعل القول المسند إليه هو ذاته، في قوله: قلت: إنما احتاجوا إلى ذلك لأخذهم اللفظ جنسًا للكلمة، واللفظ ينقسم إلى موضوع، ومهمل؛ فاحتاجوا إلى الاحتراز عن المهمل بذكر الوضع.

يضاف إلى ذلك صوته وهو يضع بين يدي المتلقي الحجة التي أغنته عن اشتراط الوضع، وهي أنه قد اتخذ من القول جنسًا للكلمة.

الصوت الثاني والثالث: صوت المتلقي وصوت الآخر:

المثال الرابع:

يقول ابن هشام: "فإن قلت: فلم عدلت عن اللفظ إلى القول؟ قلت: لأن اللفظ جنس بعيد؛ لانطلاقه على المهمل والمستعمل، كما ذكرنا، والقول جنس قريب؛ لاختصاصه بالمستعمل، واستعمال الأجناس البعيدة في الحدود معيب عند أهل النظر"^(٧٨).

ثبتت المدونة المدروسة أن ابن هشام كان في حالة توقع دائم لردود أفعال المتلقي لما يطرحه من آراء وأحكام؛ ومن ثم كان في حالة حوار دائم معه، وكان يتوقع الأسئلة التي قد يطرحها المتلقي؛ ومن ثم كان حرصه على إقناع المتلقي بالحجج والأدلة والبراهين، وهذا ما جعل البنية الحوارية الحجاجية قائمة على تجاوز صوتيهما معاً، وذلك على النحو الآتي:

الصوت الأول: صوت ابن هشام:

تمثل في البنية الخطابية المعتمدة على فعل القول الموجه إلى المتلقي مسبقاً بأداة الشرط في قوله: (فإن قلت)، كما يتمثل في جملة مقول القول التي تلت فعل القول المنسوب إليه (قلت)، وهي قوله: (لأن اللفظ جنس بعيد؛ لإطلاقه على المهمل والمستعمل)، إضافة إلى بُعد تداولي بديع تحقق في قوله: (كما ذكرنا)، وهي إحالة قبلية للمتلقي يحيله من خلالها إلى موضع سابق مذكراً إياه بما سبق ذكره، كما يتمثل صوته أيضاً في قوله: (والقول جنس قريب؛ لاختصاصه بالمستعمل، واستعمال الأجناس البعيدة في الحدود معيب عند أهل النظر). يتجلى الجانب الحجاجي هنا بشكل بديع يستلزم تدقيق النظر، وهو قوله (واستعمال الأجناس البعيدة في الحدود معيب عند أهل النظر)، فهو يقارع المتلقي بحجة ودليل قد تلزمه بالتخلي عن أي وجهة نظر تحالفه، معتمداً على ما يوحيه التركيب (معيب عند أهل النظر) وكأنه يصف

كل من يقتنع بذلك أنه وقع في عيب نبّه إليه أهل الفصاحة، وهي وسيلة إقناعية بديعة.

الصوت الثاني: صوت المتلقي:

تمثل هنا في السؤال الذي أجراه ابن هشام على لسان المتلقي وهو: (فإن قلت: فلم عدلت عن اللفظ إلى القول؟)، وهو سؤال يعكس وعي ابن هشام بوجود المتلقي، ومن ثم حرصه على توقع ما تثيره أقواله وآراؤه من تساؤلات داخله، وبالتالي فهو في حالة حوار دائم معه، ويضع الحجج بين يديه؛ لأن غايته الإفادة والإقناع.

السؤال الذي يطرح ذاته قبل استكمال هذا النمط الحجاجي هو: ما أهمية البعد الحجاجي القائم على التوقع داخل بنية المدونات النحوية؟ أو بصيغة أخرى: هل يتوجب على المؤلف دائماً توقع استجابات المتلقي؟ وما أثر حدوث التوقع في بنية المدونة النحوية؟ يرى الباحث أن هذا البعد يمثل ركيزة رئيسة داخل بنية المدونات النحوية؛ نظراً لكونها مدونات تعليمية برجماتية نفعية في المقام الأول، ومن ثم فالإقناع غاية كبرى منها، ولا يتحقق الإقناع إلا من خلال وسائل وطرق متنوعة تحقق تلك الغاية التعليمية النفعية، وهذا ما أكده التداوليون من قبل؛ فقد رأوا أنه "يتوجب على منتجي النص أن تتوافر لديهم القدرة على توقع استجابات المستقبلين؛ من حيث دعمها أو معارضتها"^(٧٩). إن هذا التوقع يحقق أثراً مهماً في عملية الاتصال، وهو تحقيق الغاية منها، وهو ما يطلق عليه النجاح التداولي، وهذا ما أكده فان دايك بقوله: "ينبغي أن يكون للمتكلم أغراض على نحو ما، وذلك أنه يريد أن تحصل عبارته على نتائج محددة"^(٨٠)، ومتى تحقق له ذلك؛ يكون المؤلف قد وصل إلى حد النجاح في

(٧٩) إلهام علي خليل أبو غزالة. مدخل إلى علم لغة النص، ١٧٨.

(٨٠) فان دايك، النص والسياق، ٢٦٦.

(٧٨) المصدر السابق: ٥٦.

الصوت الأول: صوت ابن هشام، في قوله: (يعمل بشرطين أحدهما: أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال، لا بمعنى المضي).

الصوت الثاني: صوت الكسائي وهشام وابن مضاء؛ الذين خالفوا ما قال به ابن هشام وغيره من النحاة، فأجازوا إعمال اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي، واستدلوا بالشاهد القرآني (وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد) واحتجوا به فيما ذهبوا إليه.

الصوت الثالث: صوت من أجاب عن السؤال المحذوف، والمقدر بـ (ما مسوغ الإعمال هنا؟) فكانت الإجابة التي تردد صداها متعلقة بالمعنى وهو أن اسم الفاعل جاء هنا: (على إرادة حكاية الحال).

الصوت الرابع: يتمثل فيما أجراه ابن هشام على لسان المتلقي ذاته، وهو ما يتمثل في قوله: (ألا ترى أن المضارع يصح وقوعه هنا، تقول: وكلبهم بيسط ذراعيه).

الملمح الحجاجي هنا يتجلى في الأدلة التي ساقها ابن هشام في نهاية هذا الموضوع، وأجراها على لسانه، هو قوله: (ويدل على إرادة حكاية الحال: أن الجملة الحالية، والواو واو الحال، وقوله سبحانه وتعالى: (ونقلبهم)، ولم يقل: (وقلبناهم). واللافت هنا أن الحجّة منشؤها الشاهد القرآني؛ الأمر الذي يبرهن قيمة الشواهد القرآنية في إحكام بنية المدونات التراثية.

المثال السادس:

عندما ذكر ابن هشام الشرط الثاني من شروط إعمال اسم الفاعل عمل الفعل وهو أن يعتمد على نفي أو استفهام، أو مخبر عنه، أو موصوف، أشار إلى مخالفة الأخفش ذلك الشرط فقال: "وذهب الأخفش إلى أنه يعمل وإن لم يعتمد على شيء من ذلك، واستدل بقوله:

مهمته الاتصالية، ويطلق التداوليون على هذا النجاح "النجاح التداولي للعبارة المتلفظ بها"^(٨١).

وتأكيداً لهذا التفسير؛ يستكمل الباحث عرض الأمثلة التي تؤكد مدى اعتماد ابن هشام على البعد الحجاجي القائم على التوقع؛ فقد رصد الباحث العديد من الوسائل التعبيرية التي لجأ إليها ابن هشام واستخدمها بعد كل حالة حوارية حجاجية؛ وهي تعكس دلالة حسم الحجاج لصالحه بناء على قوة الحجّة والبراهين التي يسوقها بين يدي المتلقي، وانتهاء حالة الجدل حول المسائل المطروحة بينه وبين المتلقي ومن تلك المواضع ما يأتي:

المثال الخامس:

قال ابن هشام في مسألة إعمال اسم الفاعل المجرد من (أل): "وإن كان مجرداً منها، فإنها يعمل بشرطين، أحدهما: أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال، لا بمعنى المضي، وخالف في ذلك الكسائي وهشام وابن مضاء؛ فأجازوا إعماله إن كان بمعنى الماضي، واستدلوا بقوله تعالى: (وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد) الكهف، آية ١٨، وأجيب بأن ذلك على إرادة حكاية الحال، ألا ترى أن المضارع يصح وقوعه هنا، تقول: وكلبهم بيسط ذراعيه، ويدل على إرادة حكاية الحال أن الجملة الحالية، والواو واو الحال، وقوله سبحانه وتعالى: (ونقلبهم)، ولم يقل: (وقلبناهم)"^(٨٢).

لقد استمد ابن هشام من الشاهد القرآني حالة حوارية حجاجية، منشؤها إرادة حكاية الحال في الشاهد القرآني؛ الأمر الذي يثبت قيمة الشواهد القرآنية في إحكام بنية المدونات النحوية التراثية، ومنحها طاقة إبداعية يستشعر بها المتمعن في التراث النحوي الرصين، ويتمثل البعد الحجاجي هنا عبر تعددية الأصوات على النحو الآتي:

(٨١) المرجع السابق، ٢٥٧.

(٨٢) المصدر السابق: ٤٨٩، ٤٩٠.

بين يدي المتلقي؛ الأمر الذي ينعكس أثره على إحكام بنية السياق داخل المدونات النحوية التراثية.

الخاتمة:

بحمد الله وفضله؛ انتهت هذه الدراسة وتوصلت إلى بعض النتائج، هي:

أولاً: أثبتت الدراسة تحقق أبعاد البوليفونية اللسانية في المدونات النحوية؛ وقد تمثلت تلك الأبعاد في المدونة المدروسة في ثلاثة أنماط هي:

- البوليفونية اللسانية القائمة على ثنائية الأصوات.
- البوليفونية اللسانية القائمة على تعدد الأصوات.
- البوليفونية اللسانية القائمة على البعد الحجاجي.

ثانياً: كشفت الدراسة من خلال تحليل الأمثلة والشواهد أنّ تحقق أبعاد البوليفونية اللسانية في المدونات النحوية يُدخّلها في دائرة الإبداع؛ وهو خلاف ما شاع عن المدونات النحوية في عدّها كتباً تعليمية في المقام الأول لا إبداع فيها، وهذا ما دحضته الدراسة الحالية من خلال الوقوف على عدة أبعاد جمالية تحققت، وكشف عنها الجانب التحليلي.

ثالثاً: أبرزت الدراسة عدداً من الجوانب الجمالية في ضوء المقاربة التداولية للمدونة النحوية، وتحت ظلال مبادئ لسانية، تمثلت تلك الجوانب الجمالية في (البعد الحوارية ثنائي الأصوات، البعد الحوارية متعدد الأصوات، البعد الحجاجي بين أطراف البنية الحوارية، التوقع، الإحالة، التماسك والتلاحم الناتج عن التداخل التركيبي البديع).

رابعاً: برهنت الدراسة أن أسلافنا القدماء - ومنهم ابن هشام - لهم ممارسات بوليفونية لسانية داخل مدوناتهم النحوية، لكنهم لم ينظروا لها كما نظروا لها الغرب فيما بعد.

خامساً: كشفت الدراسة عن صور متعددة من عناية النحويين بالمتلقي، ومن تلك الصور التي تجلت بين ثنايا

خبيرٌ بنو لهبٍ فلا تكُ مُلغياً مقالةً لهبياً إذا الطيرُ مرّت".

وذلك لأنّ (بنو لهب) فاعل بـ "خبير"، مع أنّ خبيراً لم يعتمد، وأجيب: بأنّنا نَحْمَلُهُ على التقديم والتأخير، فـ"بنو لهب": مبتدأ، وخبير: خبره، ورُدّ: بأنّه لا يُجْبَرُ بالمفرد عن الجمع، وأجيب: بأنّ "فعيلاً" قد يستعمل للجماعة، كقوله تعالى: (والملائكة بعد ذلك ظهير) سورة التحريم، آية ٤ "٨٣". في هذا المثال استمد ابن هشام من الشاهد القرآني والشاهد الشعري معاً أركان الحالة الحوارية الحجاجية التي مثّلت ملمحاً أسلوبياً بارزاً على امتداد مدونته؛ معتمداً أيضاً على تعددية الأصوات، وذلك على النحو الآتي:

الصوت الأول: صوت ابن هشام، ويتمثل فيما ذكره عن شروط إعمال اسم الفاعل عمل الفعل.

الصوت الثاني: يتمثل في الشاهد الشعري المستشهد به.

وكان هذا الشاهد الشعري الباعث للحالة الحجاجية التي استدعت أصواتاً متعددة، وتمثلت في الآتي:

- صوت ابن هشام في قوله: لأنّ (بنو لهب) فاعل بخبير، مع أنّ خبير لم يعتمد.

- صوت من يعارض التخريج السابق للشاهد الشعري، وقد تردد صوته في قوله: (لا يُجْبَرُ بالمفرد عن الجمع).

- صوت المجيب عن الاعتراض السابق، بقوله: (بأنّ (فعيلاً) قد يستعمل للجماعة، واستدل بقوله (والملائكة بعد ذلك ظهير).

الملمح البديع هنا هو التلاحم والتناسق بين بنية المدونة النحوية وما يسوقه ابن هشام داخل بنيتها من شواهد قرآنية وشعرية، معتمداً على الحكاية تارة، وعلى المناظرة تارة، وعلى طرح التأويلات والآراء المتعددة حول المسائل التي يطرحها

- تحقيق الغاية النفعية الرئيسة من المدونات النحويّة بنجاح وكفاءة، والمتمثلة في الغاية التعليمية القائمة على إقناع الآخر.

- دفع التوهم عن المتلقي، وإمالة اللثام عن كل ما استُشكِل فهمه أمامه.

- دخول المدونات النحويّة دائرة البحث الجمالي، واستكشاف الأبعاد الجمالية فيها.

التوصيات:

توصي الدراسة الحالية بضرورة توسيع دائرة البحث اللغوي اللساني في التراث النحوي العربي، عبر إضافة المستوى التداولي إلى مستويات التحليل اللغوي المعهودة.

كما توصي الدراسة بمزيد من الدراسات المعاصرة حول التراث النحوي عامة وحول المؤلفات التي تربط بعصور الاحتجاج النحوي والمساجلات النحويّة، الأمر الذي يكشف أبعادًا جمالية جديدة داخل المدونات النحويّة التراثية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

الأَنْصَارِي، ابن هشام أبو محمد عبد الله بن يوسف. شرح قطر الندى وبلّ الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ضبط واستدراك نسيم بلعبيد، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ٢٠٢٣م.

المراجع:

الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: الدكتور فائز فارس، (الكويت، الشركة الكويتية لصناعة الدفاتر والورق المحدودة، ط١، ١٩٧٩م).
أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، (بيروت: مركز الإنماء القومي، ٢٠١٧م).

المدونة النحويّة المدروسة: توجيه الخطاب المباشر إلى المتلقي عبر جمل خبرية تعليمية، وتوجيه الاستفهام إلى المتلقي، وإجراء جمل مقول القول على لسان المتلقي، وإحالة المتلقي إلى مواضع سابقة ولاحقة.

سادسًا: كشفت الدراسة أن تراثنا النحوي يتميز بسمت حوارِي ينمي روح النقاش والجدل العلمي، وهما معًا يشكلان جناحي البوليفونية، وهذا يؤكد من جانب آخر أن تلك المدونات النحويّة ما زالت تفيض بأبعاد جمالية على الباحثين أن ينقبوا عنها في كتب التراث النحوي.

سابعًا: أجابت الدراسة عن التساؤلات البحثية بشكل دقيق، وكانت تلك الإجابات في ضوء دلائل وبراهين وشواهد؛ فقد تبين إمكانية تحقق الجوانب التداولية في المدونات النحويّة، ومن ثم إمكانية تطبيق الدرس التداولي على تراثنا النحوي، بل إن تلك الأبعاد يمكن أن تستمد من مدوناتنا النحويّة - إن شئنا الدقة - دون مبالغة، كما أثبتت الدراسة أن تحقق تلك الأبعاد البوليفونية في المدونة النحويّة لم يكن من قبيل المصادفة، ولم يكن إسقاطًا لنظريات غربية على تراثنا النحوي، والدليل أن تكرار تلك الأبعاد جاء على امتداد المدونة النحويّة من بدايتها إلى نهايتها، إلى الحد الذي يجعل من تلك الوسائل التعبيرية المستخدمة سمة أسلوبية مميزة؛ مما يعني أن التكرار يؤكد القصدية.

ثامنًا: أجابت الدراسة عن التساؤل الناتج عن فكرة الدراسة، وهو: ما أثر تحقق البوليفونية اللسانية في المدونات النحويّة؟ والإجابة تتمركز في تتبع ذلك الأثر في نجاح عملية التواصل من جانب، وبيان الأثر في المتلقي بوصفه محور عملية التلقي من جانب آخر؛ ومن ثم فقد تبين أن عدة أمور تحققت، تتمثل في:

- فاعلية عملية التلقي، ونجاح عملية التواصل بين طرفي الخطاب.

(مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، د.ت).

التكريلي، فؤاد، الرجح البعيد، (بيروت: لبنان، دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، ط ٣، ٢٠١٥م).

التلاوي، محمد نجيب، وجهة النظر في روايات الأصوات العربية، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م).

جبران، مسعود، معجم الرائد معجم لغوي عصري، طبعة جديدة، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٩٢م).

ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسب في وجوه تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (القاهرة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، د. ط، ١٩٩٩م).

حاجي خليفة، مصطفى، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (اسطنبول: وكالة المعارف، ١٩٤١م).

همداوي، جميل، أنواع المقاربات البوليفونية في تحليل الملفوظات والنصوص والخطابات، (القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م).

الحنبلي، عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دمشق، (بيروت: دار ابن كثير، ط ١، ١٩٨٦م).

الخطيب، عبد اللطيف، معجم القراءات، (دمشق، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠٠٩م).

ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، قرأه وأعد معاجمه وفهارسه: إبراهيم شبّوح، وإحسان عباس، (تونس: دار القيروان للنشر، ط ١، ٢٠٠٦م).

أكيدر، عبد الرحمن، الرواية البوليفونية المقومات النظرية والخصائص الفنية، (المغرب: مؤسسة الوراق للطباعة والنشر، ٢٠١٧م).

أنسته، رضا، "مرايا البوليفونية في رواية الزمن الموحش على ضوء نظرية باختين السردية"، مجلة الأدب العربي، العام الحادي عشر، العدد الأول، ٢٠١٩م.

باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد براءة، (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م).

باختين، ميخائيل، الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، (بيروت: منشورات وزارة الثقافة، ط ١، ١٩٨٨م).

باختين، ميخائيل، الملحمة والرواية، ترجمة: جمال شحيد، (بيروت، معهد الإنهاء العربي، ١٩٨٢م).

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (اسطنبول: مطبعة وكالة المعارف، ١٩٥١م).

بوجادي، خليفة، "التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصادره ومجالاته"، الجزائر: مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، عدد ١٦، ٢٠١٢م.

بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، (الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٩م).

بوعزة، محمد، "البوليفونية الروائية"، مجلة الفكر العربي، مجلد ١٧، عدد ٨٢، ١٩٩٥م.

بوعزة، محمد، حوارية الخطاب الروائي من باختين إلى ما بعد باختين، (تونس: دار أمل للنشر والتوزيع، د. ط، ٢٠١٢م).

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، عدد الأجزاء ١٦،

الشهري، عبد الهادي بن ظافر، *استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية*، (بنغازي: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م).

الشوكاني، محمد بن علي، *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، (بيروت: دار المعرفة، د. ط، د. ت).

صحراوي، مسعود، *التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*، (بيروت: لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م).

صغير، أحمد عزي، *القصيدة البوليفونية وشعرية تعدد الأصوات، قراءة في المدونة الشعرية الكاملة لـ(عبد العزيز المقالح)*، (المغرب: ملتقى الأدباء والمبدعين العرب، ٢٠١٢م).

الضبع، يوسف عبد الرحمن، *ابن هشام وأثره في النحو العربي*، (القاهرة: دار الحديث، ط١، ١٩٩٨م).

عاشور، رضوى، *ملحوظات حول تعدد الأصوات في ثلاثية غرناطة*، (بيروت: مجلة الطريق، عدد١، ٢٠٠٢م).

عبد الكريم، عواطف "تعدد التصويت في الموسيقى"، *مجلة فصول*، (القاهرة، مجلد ٥، عدد ٢، ١٩٨٥م).

عبد الرحمن، طه، *أصول الحوار وتجديد الكلام*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م).

عشري، علي، *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٧م).

عفيفي، أحمد، *نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي*، (مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م).

عكاشة، محمود، *النظرية البرجماتية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ*، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ٢٠١٣م).

علوش، سعيد، *معجم المصطلحات الأدبية*، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٥م).

دايك، فان، *النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي*، ترجمة: عبد القادر قنيني، (المغرب: دار إفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م).

الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، *البرهان في علوم القرآن*، تح. د. زكي محمد أبو سريع، الطبعة الأولى، (الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).

زيتوني، لطيف، *معجم مصطلحات نقد الرواية*، عربي إنجليزي فرنسي، (بيروت: دار النهار للنشر، ط٢، ٢٠٠٢م).

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، *طبقات الشافعية الكبرى*، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الخلو، الطبعة الثانية، القاهرة: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٦٤م.

السيد، مصطفى عبد الحميد، *دراسات في اللسانيات العربية بنية الجملة العربية*، (الأردن: عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م).

السيوطي، جلال الدين، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤م.

ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد الحسني، *أمالي ابن الشجري*، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ٢٠٠٦م).

الشاعر، حسن موسى، *تطور الآراء النحوية عند ابن هشام الأنصاري*، (الأردن: عمان، دار البشير، ط١، ١٩٩٤م).

شوقي، منيرة، *المبدأ الحوارية عند باختين*، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، عدد٣، سبتمبر، ٢٠١٤م.

الشعبة، نجاة عرب، "حوارية باختين دراسة في المرجعيات والمفردات"، *مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب*،

العدد ٣١، سبتمبر، ٢٠١٢م.

شعيب، عمران عبد السلام، *منهج ابن هشام من خلال كتابه المغني*، (ليبيا: الدار الجماهيرية، ١٩٨٦م).

نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،
(مصر: دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٢م).

نور الدين، عصام، الفعل في نحو ابن هشام، (لبنان: دار
الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).

هاينه، فولفجانج، وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة
النصي، ترجمة الدكتور: فالح بن شبيب العجمي،

(الرياض: مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٩٩م).

بول، جورج، التداولية، ترجمة: قصي العتاي، (بيروت: الدار
العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ٢٠١٠م).

Resources & References

Resources:

Al-Ansārī, Ibn Hishām Abū Mohammed 'Abd Allāh ibn Yūsuf. "Sharḥ Qatr al-Nadā Wa Ball al-Ṣadā". Investigated by Mohammed Muḥyī Al-Dīn 'Abd Al-Ḥamīd, revised by Nasīm Bal'abīd. First ed.. Beirut: Al-Risāla Publishers, 2023.

References:

Al-Akhfash, Abu Al-Hasan Saeed bin Mas'adah, *The Meanings of the Qur'an*, edited by: Dr. Faiz Faris, (Kuwait, The Kuwaiti Company for the Manufacture of Notebooks and Paper Limited, 1st edition, 1979 AD).

Armenico, Françoise. "Al-Muqāraba al-Tadāwuliya". Translated by Sa'īd 'Alūsh. Beirut: National Development Center, 2017.

Akdīr, 'Abd Al-Rahmān. "Al-Riwāya al-Būlīfūniya: al-Muqawwimāt al-Nazariya Wa Al-Khaṣā'is Al-Fanniya". Morocco: Al-Warrāq Publishing House, 2017.

Anasta, Riḍā. "Marāyā al-Būlīfūniya Fī Riwāyat al-Zaman al-Muwahīš 'Alā Ḍaw' Nazariyat Bakhtīn al-Sardiya." al-Adab al-'Arabī, 11(1), 2019.

Bakhtīn, Mikhail. "Al-Khiṭāb al-Riwā'ī". Translated by Mohammed Barāda. Cairo: Dār Al-Fikr for Studies, Publishing and Distribution, 1987.

Bakhtīn, Mikhail. "Al-Kalima Fī al-Riwāya". Translated by Yūsuf Ḥallāq. Beirut: Ministry of Culture Publications, first ed., 1988.

Bakhtīn, Mikhail. "Al-Malhama Wa al-Riwāya". Translated by Jamāl Shahīd. Beirut: Arab Development Institute, 1982.

Al-Baghdādī, Ismā'īl ibn Mohammed Amīn Bāshā. "Hadiyat al-'Arifīn: Asmā' al-Mu'allifīn Wa Athār al-Musannifīn". Istanbul: Maṭba'at Wikalat Al-Ma'ārif, 1951.

علي، أسعد محمد، بين الأدب والموسيقى دراسة مقارنة في
الفن الروائي، (بغداد: العراق، دار آفاق عربية للصحافة
والنشر، ١٩٨٥م).

أبو غزالة، إلهام علي خليل، مدخل إلى علم لغة النص،
(مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية،
١٩٩٩م).

الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية
والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، (القاهرة: دار
قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م).

القاضي، محمد، ومحمد الجنو، وأحمد السماوي، ومحمد نجيب
العماي، وعلي عبيد، ونور الدين بنخود، وفتحي
النصري، ومحمد آيت ميهوب، معجم السرديات.
(تونس: دار محمد علي للنشر، ٢٠١٠م).

مرتاض، عبد الملك، في نظرية النقد، (الكويت: المجلس
الأعلى للثقافة، ٢٠٠٦م).

مرزوق، محمد، "البوليفونية اللسانية قراءة أسلوبية جديدة في
رواية "المخطوطة الشرقية" لواسيني الأعرج"، مجلة آفاق
فكرية، (الجزائر، عدد ٥، ٢٠١٦م).

مزيد، بهاء الدين محمد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى
بلاغة الخطاب السياسي، (القاهرة: شمس للنشر
والتوزيع، ط ١، ٢٠١٠م).

الموسوي، أنور غني، "القصيدة التقليدية" الشعر بين التقليدية
والبوليفونية، (العراق: دار أقواس للنشر، ٢٠٢٠م)،
ص ٣٧.

الموسوي، أنور غني، التقنيات السردية في القصيدة العربية
مقالات نقدية أسلوبية، العراق: دار أقواس للنشر،
٢٠٢٠م.

الموسوي، أنور غني، كُتّاب قصيدة الشعر، نسخة الكترونية،
٢٠١٦م . <http://foulabook.com>

- Riyadh: Dār Al-Ḥadāra for Publishing and Distribution, 2006.
- Zaytūnī, Laṭīf. "*Mu'jam Muṣṭalahāt Naqd al-Riwāya: 'Arabī, Inḡlīzī, Faransī*". Second ed.. Beirut: Dār Al-Nahār for Publishing, 2002.
- Al-Subkī, Tāj Al-Dīn 'Abd Al-Wahhāb ibn Taqī Al-Dīn. "*Ṭabaqāt al-Shāfi'iyya al-Kubrā*". Investigated by Mohammed Mohammed Al-Ṭanāhī & 'Abd Al-Fattāh Mohammed Al-Ḥillū. Second ed.. Cairo: Hijr for Printing, Publishing and Distribution, 1964.
- Al-Sayid, Muṣṭafā 'Abd Al-Ḥamīd. "*Dirāsāt fī al-Lisāniyyāt al-'Arabiyya: Bunyat al-Jumla al-'Arabiyya*". Amman, Jordan: Dār Al-Ḥamīd for Publishing and Distribution, 2004.
- Al-Suyūṭī, Jalāl Al-Dīn. "*Buḡhyat al-Wu'āh fī Ṭabaqāt al-Lughawīyyīn wa al-Nuḥāt*". Investigated by Mohammed Abū Al-Fadl Ibrāhīm. First ed.. Cairo: Maṭba'at 'Īsā Al-Bābī Al-Ḥalabī, 1964.
- Ibn al-Shajari, Hibat Allah ibn Ali ibn Muhammad al-Hasani, *Amali Ibn al-Shajari* (Cairo, al-Khanji Library, 2nd ed., 2006).
- Al-Sha'ir, Ḥasan Mūsā. "*Tatawwur al-Ārā' al-Naḥwiyya 'inda Ibn Hishām al-Anṣārī*". First ed.. Amman, Jordan: Dār Al-Bashīr, 1994.
- Sharqī, Munīra. "*Al-Mabda' al-Ḥiwārī 'inda Bakhtīn*" Majallat Lil lil-Dirāsāt Al-Adabiya wa Al-Fikriyya, 3, 2014.
- Al-Shu'ba, Najāt 'Arab. "*Ḥiwāriyyat Bakhtīn: Dirāsah fī al-Marāji'iyya wa al-Mufradāt*" Majallat Al-Tawāṣul fī Al-Lughāt wa Al-Thaqāfa wa Al-Adab, 31, 2012.
- Shu'aib, 'Imrān 'Abd Al-Salām. "*Manhaj Ibn Hishām min Khilāl Kitābihi al-Mughnī*". Libya: Dār Al-Jamāhīriya, 1986.
- Al-Shahri, 'Abd Al-Hādī ibn Zāfir. "*Istrāṭījiyyāt al-Khiṭāb: Muqāraba Lughawīyya Tadāwuliyya*". First ed.. Benghazi: Dār Al-Kitāb Al-Jadīd Al-Muttaḥida, 2004.
- Al-Shawkānī, Mohammed ibn 'Alī. "*Al-Badr al-Ṭālī' bi-Maḥāsin min Ba'd al-Qarn al-Sābi*". Beirut: Dār Al-Ma'rifa, n. d.
- Ṣahrāwī, Mas'ūd. "*Al-Tadāwuliyya 'inda al-'Ulamā' al-'Arab: Dirāsah Tadāwuliyyah li-Zāhirat al-Af'āl al-Kalāmiyya fī al-Turāth al-Lughawī al-'Arabī*". Beirut: Lebanon, Dār Al-Ṭalī'a lil-Ṭibā'a wa Al-Nashr, 2005.
- Ṣaghīr, Aḥmad 'Azī. "*Al-Qaṣīdah al-Būlīfūniyyah wa Shi'riyyat Ta'addud al-Aṣwāt: Qirā'ah fī al-Mudawwanah al-Shi'riyyah al-Kāmilah li-Abd al-'Azīz al-Maqālāh*". Morocco: Multaqā Al-Adabā' wa Al-Mubdi'in Al-'Arab, 2012.
- Al-Ḍab', Yūsuf 'Abd Al-Raḥmān. "*Ibn Hishām wa Atharuhu fī al-Naḥw al-'Arabī*". Cairo: Dār Al-Ḥadīth, first ed., 1998.
- 'Āshūr, Riḍwā. "*Malḥūzāt ḥawlā Ta'addud al-Aṣwāt fī Thulāthiyyat Gharnāta*". Beirut: Majallat Al-Ṭarīq, 1, 2002.
- Boujādī, Khalīfa. "*Al-Taḥkīr al-Lughawī al-Tadāwulī 'Ind al-'Arab: Maṣādiruh Wa Majālātuh*". Majallat Al-Ādāb wa Al-'Ulūm Al-Ijtimā'iya, 16, 2012.
- Boujādī, Khalīfa. "*Fī al-Lisāniyyāt al-Tadāwuliyyah ma'a Muḥāwalah Ta'ṣiliyyah fī al-Dars al-'Arabī al-Qadīm*". First ed.. Algeria: Bayt Al-Ḥikma for Publishing and Distribution, 2009.
- Bou'azza, Mohammed. "*Al-Būlīfūniyya al-Riwā'iyyah*". "Al-Fikr Al-'Arabī", 17(82), 1995.
- Bou'azza, Mohammed. "*Ḥiwāriyyat al-Khiṭāb al-Riwā'i min Bakhtīn ilā mā Ba'd Bakhtīn*". Tunis: Dār Amal for Publishing and Distribution, n. d., 2012.
- Ibn Taghrī Bardī, Abū Al-Maḥāsin Jamāl Al-Dīn Yūsuf. "*Al-Nujūm al-Zāhira fī Mulūk Miṣr*". 16 volumes. Cairo: Ministry of Culture and National Guidance, Dār Al-Kutub, n. d.
- Al-Takrīlī, Fū'ād. "*Al-Raj' al-Ba'id*". Third ed.. Beirut: Dār Al-Madā for Media, Culture and Arts, 2015.
- Al-Talawī, Mohammed Najīb. "*Wajhat al-Nazar fī Riwayāt al-Aṣwāt al-'Arabiyya*". Damascus: Union of Arab Writers Publications, 2000.
- Jubrān, Mas'ūd. "*Mu'jam al-Rā'id: Mu'jam Lughawī 'Aṣrī*". Seventh ed.. Beirut: Dār Al-'Ilm lil-Malāyīn, 1992.
- Ibn Jinnī, Abu al-Fath Uthman, *Al-Muhtasib fī Wujuh Tabyin Shawadh al-Qira'at wa al-Idah 'anha*, edited by: Ali al-Najdi Nasif, and Dr. Abd al-Fattah Ismail Shalabi, (Cairo, Ministry of Endowments, Supreme Council for Islamic Affairs, n.d., 1999).
- Ḥājī Khalīfa, Muṣṭafā. "*Kashf al-Zunūn 'an Asāmī al-Kutub wa al-Funūn*". Istanbul: Wikalat Al-Ma'ārif, 1941.
- Ḥamdāwī, Jamīl. "*Anwā' al-Muqārabāt al-Būlīfūniyya fī Tahlīl al-Malfūzāt wa al-Nuṣūṣ wa al-Khiṭābāt*". Cairo: Al-Dār Al-'Arabiya lil-Nashr wa Al-Tawzī', 2009.
- Al-Ḥanbalī, 'Abd Al-Ḥay ibn Al-'Imād. "*Shadharāt al-Dhahab fī Akhbār min Dhahab*". Investigated by Mohammed Al-Arnā'ūt. First ed.. Damascus, Beirut: Dār Ibn Kathīr, 1986.
- Al-Khatib, Abdul Latif, Dictionary of Readings, (Damascus, Dar Saad Al-Din for Printing and Publishing, 2nd edition, 2009 AD).
- Ibn Khaldūn, 'Abd Al-Raḥmān. "*Al-Muqaddima*". Investigated and indexed by Ibrāhīm Shabbūh & Iḥsān 'Abbās. First ed.. Tunis: Dār Al-Qayrawān for Publishing, 2006.
- Dāyk, Vān. "*Al-Nass wa al-Siyāq: Istiqṣā' al-Baḥth fī al-Khiṭāb al-Dalālī wa al-Tadāwulī*". Translated by 'Abd Al-Qādir Qanīnī. Morocco: Dār Ifriqiyyā Al-Sharq, 2000.
- Al-Zarkashī, Badr Al-Dīn Mohammed ibn 'Abd Allāh. "*Al-Burhān fī 'Ulūm al-Qur'an*". Investigated by Z. M. Abū Sarī'. First ed..

- Naḥla, Maḥmūd. "*Āfāq Jadīdah fī al-Baḥth al-Lughawī al-Mu'āṣir*". Egypt: Dār Al-Ma'rifa, first ed., 2002.
- Nūr Al-Dīn, 'Iṣām. "*Al-Fi'l fī Naḥw Ibn Hishām*". Lebanon: Dār Al-Kutub Al-'Ilmiya, 2007.
- Haynhe, Wolfgang & Dieter Viehweger. "*Madkhal ilā 'Ilm al-Lughah al-Naṣṣī*". Translated by Fāliḥ bin Shabīb Al-'Ajmi. Riyadh: King Saud University Press, 1999.
- Yule, George. "*Al-Tadāwuliyya*". Translated by Qusāy Al-'Atābī. Beirut: Dār Al-'Arabiya lil-'Ulūm Publishers, first ed., 2010.
- 'Abd Al-Karīm, 'Awāṭif. "*Ta'addud al-Taṣwīt fī al-Mūsīqā*" Majallat Fuṣūl, 5(2), Cairo, 1985.
- 'Abd Al-Raḥmān, Ṭāhā. "*Uṣūl al-Hiwār wa Tajdīd al-Kalām*". Casablanca: Arab Cultural Center, 2002.
- 'Ashrī, 'Alī. "*Istid'ā' al-Shakḥṣiyyāt al-Turāthiyya fī al-Shi'r al-'Arabī al-Mu'āṣir*". Cairo: Dār Al-Fikr Al-'Arabī, first ed., 1997.
- 'Afīfī, Aḥmad. "*Naḥw al-Naṣṣ: Ittijāh Jadīd fī al-Dars al-Naḥwī*". Cairo: Maktabat Zahrā' Al-Sharq, first ed., 2001.
- 'Ukāsha, Maḥmūd. "*Al-Nazariyya al-Barājmatīyya: Dirāsah al-Mafāhīm wa al-Nash'ah wa al-Mabādi*". Cairo: Maktabat Al-Ādāb, first ed., 2013.
- 'Alūsh, Sa'īd. "*Mu'jam al-Muṣṭalahāt al-Adabiyya*". Beirut: Dār Al-Kitāb Al-Lubnānī, 1985.
- 'Alī, As'ad Mohammed. "*Bayn al-Adab wa al-Mūsīqā: Dirāsah Muqāranah fī al-Fann al-Riwā'ī*". Baghdad, Iraq: Dār Āfāq 'Arabiya lil-Ṣiḥāfa wa Al-Nashr, 1985.
- Abū Ghazāla, Ilhām 'Alī Khalīl. "*Madkhal ilā 'Ilm Lughat al-Naṣṣ*". Second ed.. Cairo: Egyptian General Book Organization, 1999.
- Al-Faqī, Ṣubḥī Ibrāhīm. "*'Ilm al-Lughah al-Naṣṣī bayn al-Nazariyyah wa al-Tatbīq: Dirāsah Tatbīqiyyah 'alā al-Sūwar al-Makkiyyah*". Cairo: Dār Qubā' lil-Ṭibā'a wa Al-Nashr wa Al-Tawzī', 2000.
- Al-Qāḍī, Mohammed, Mohammed Al-Janū, Aḥmad Al-Samāwī, Mohammed Najīb Al-'Umānī, 'Alī 'Ubayd, Nūr Al-Dīn Binkhūd, Fathī Al-Naṣrī, Mohammed Āyt Mīhūb. "*Mu'jam al-Sardiyyāt*". Tunis: Dār Mohammed 'Alī lil-Nashr, 2010.
- Murtād, 'Abd Al-Malik. "*Fī Nazariyyat al-Naqd*". Kuwait: Supreme Council for Culture, 2006.
- Marzūq, Mohammed. "*Al-Būlīfūniyyah al-Lughawīyyah: Qirā'ah Uslūbiyyah Jadīdah fī Riwaāyah*" Al-Makhtūta Al-Sharqiya li Wāsīnī Al-A'raj." Majallat Āfāq Fikriya, Algeria, 5, 2016.
- Mazīd, Bahā' Al-Dīn Mohammed. "*Tabṣīṭ al-Tadāwuliyyah min Af'al al-Lughah ilā Balāghat al-Khiṭāb al-Siysiyy*". Cairo: Shams for Publishing and Distribution, first ed., 2010.
- Al-Mūsawī, Anwar Ghanī. "*Al-Qaṣīdah al-Taqlīliyyah: al-Shi'r bayn al-Taqlīliyyah wa al-Būlīfūniyyah*". Iraq: Dār Aqwās lil-Nashr, 2020, p.37.
- Al-Mūsawī, Anwar Ghanī. "*Al-Taqnīyāt al-Sardiyya fī al-Qaṣīdah al-'Arabiyyah: Maqālāt Naqdiyya Uslūbiyyah*". Iraq: Dār Aqwās lil-Nashr, 2020.
- Al-Mūsawī, Anwar Ghanī. "*Kuttāb Qaṣīdat al-Nathr*". Electronic version, 2016. http://foulabook.com .